الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

بعنوان:

النظم و النظام عند عبد القاهر الجرجاني و فرديناند دي سوسير

مذكرة مقدَّمة لاستكمال متطلبات شهادة ماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص لسانيات عربية

من إعداد الطالبين :

- بن عشو شريفة

تحت إشراف الأستاذ :

د. برارات عائشة

أمام اللجنة المكونة من السادة:

الاسم واللقب	الدرجة	الجامعة	الصفة
د. بن سمعون سليمان	أ. محاضر أ	جامعة غرداية	رئيسا
د. برارات عائشة	أ. محاضر أ	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
د. مدور محمد	أ. محاضر أ	جامعة غرداية	مناقشا

السنة الجامعية : 1439هـ / 1440هـ - 2018م / 2019م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة غرداية

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة العربية و آدابها

النظم و النظام عند عبد القاهر الجرجاني و فرديناند دي سوسير

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

من إعداد الطالبة:

بن عشو شريفة

إشراف الأستاذة:

د. برارات عائشة

السنة الجامعية: 2018م/2019م-1439هـ/1440هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

- إلى أمي و أبي حفظهما الله و رعاهما
- إلى إخوتي ، إلى رفيقتا دربي سعاد و فاطمة
- و إلى كل من كان عونا لي في هذا البحث و أخص بالذكر :

د/ سليمان بن سمعون

❖ شـريـفـة ❖

النظم و النظام عند عبد القاهر الجرجاني و فرديناند دي سوسير

Les systèmes et la systèmatisation chez abedelkaher eldjerdjani et Ferdinand de saussure

– جدول التصويبات:

الصفحة	السطر	بدلا منه	إقرأ

لوحة الإختصارات المستعملة في البحث:

الإختصارات المستعملة في المذكرة

تح/: تحقيق　　**ع**: عدد

تر/: ترجمة　　**مج**: مجلد

مر/: مراجعة　　**دت**: دون تاريخ

ط: طبعة

ملخص

الملخص:

إن بحثي هذا: **"النظم و النظام عند عبد القاهر الجرجاني و فرديناند دي سوسير"**، الذي عُنِيَ بمحاولة الكشف عن ملامح المقاربة اللسانية بين الجرجاني و دي سوسير من خلال كتاب "دلائل الإعجاز" و "علم اللغة العام"، و عليه فقد قسمت البحث إلى مبحثين: المبحث الأول: تناولت فيه مصطلح النظم و النظام في الدراسات اللغوية القديمة و الحديثة، اما المبحث الثاني: تعرضت فيه إلى إجراء موازنة بين العالمين انطلاقا من الثنائيات التي طرحها دي سوسير.

الكلمات المفتاحية: النظم . النظام . اللغة . الكلام . الدال و المدلول . اللفظ . المعنى . العلاقات الاستبدالية . العلاقات التركيبية . نظم الحروف . نظم الكلم.

Abstract:

This research attempted to introduce and shed light on Abd ALqahar Aljurjani theory of construction which made a great contribution to the Arabic linguistic thinking and ferdinand De Saussure’s approach to language though out the two books: "Dalael alejaz" ie "the arguments of inimitability" and "Elim Allugha Alaam" ie "the course in general linguistics".

This study is divided into two sections.

the first section deals with the definition of the two terms "construction and systemes".

In the second section we will engage in a comparative study of classical Arabic linguistic conceptualisations of meanings referring to Aljurjani and recent linguistic conceptualisations based on the saussurian definition of linguistic systems.

Key words: Construction**,** Systems.

مقدمة

مقدمة:

بسم الله الذي خلق الانسان علمه البيان ووهبه التمييز و الحكمة و كرّمه على سائر مخلوقاته، فأحسن تصويره، فقرى عليه كلام الله ليرشده، و ليدرك منزلته و يحمده على ما أثار من علم و حكمة، فقد قال تعالى: وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا [الإسراء الآية:85].

إن دراسة اللغة ظاهرة اجتماعية عامة تؤدي إلى وظائف تشترك فيها جميع المجتمعات الانسانية على اختلافها، و لقد حظيت دراسة اللغة بعناية كبيرة من قِبل الفلاسفة و العلماء قديماً وحديثاً، فدرسوا طبيعتها و وظيفتها الاجتماعية و كشفوا لنا مدى أهميتها.

تعتبر جهود العلماء العرب قديماً في مجال البحث في اللغة في القرن الثاني للهجرة، أدق ما عرفته البشرية، و ذلك لما حظي به التراث اللغوي العربي من أراء منظورة و أمور هامة، و ما يتميز به من أصلة في التفكير و العمق في التحليل و الدقة في المنهج، الذي من شأنه أن يسلط الأضواء على العديد من المواضيع التي يلتقي فيها الدرس اللغوي العربي مع أحدث ما توصل إليه البحث اللساني الحديث، و الذي بلا شك سيظهر لنا مدى استمرارية الفكر اللغوي عبر الزمن.

و من أجل حماية لغة القرآن الكريم و بيان سر إعجازه، قام النحاة بوضع ما يسمى علم النحو لحمايتها و الحفاظ عليها، و لعلى من أبرز جهود القدامى، نجد عبد القاهر الجرجاني الذي كرس حياته العلمية لخدمة اللغة و دراستها، فجاء بنظرية "النظم" التي تقوم على مراعاة الأحكام النحوية، و أراء عبد القاهر الجرجاني في النظم تخضع للمقارنة بآراء دي سوسير.

و لقد بدأ البحث اللساني الحديث مع عصر النهضة، و لكن علم اللغة لم يأخذ مكانته باعتباره علماً مستقل بذاته، إلا على يد فرديناند دي سوسير الذي يعد الأب الحقيقي للسانيات البنيوية، و ذلك من خلال محاضراته التي ألقاها بجامعة جنيف و قام بنشرها تلاميذه كل من شار بالي و ألبار سيشيهاي بعد وفاته سنة 1916.

سبب اختيار الموضوع: أشار علماء اللغة حديثاً إلى أن المورث اللغوي العربي فيه الكثير من إشارات واضحة إلى القضايا اللغوية العامة، التي لم تدركها الدراسات اللسانية الغربية إلا منذ قرن من الزمن، و هذا ما بث الرغبة في نفسي إلى أن أعمل على عقد مقاربة لسانية بين الدراسات اللغوية العربية و اللسانيات الحديثة، وقد اكتفيت في ذلك بمقابلة بين مصطلح النظم و النظام.

إشكالية البحث: كما نعرف أن حقل الدراسات اللغوية شهد تطور ملحوظا في مجال اللسانيات، و لكن إذا توغلنا في تراثنا اللغوي العربي نجد الكثير من النقاط التي تتوافق مع ما وصلت إليه الدراسات اللسانية الحديثة، و هنا تمثلت نقطة إشكالي:

أين يتجلى النظم والنظام عند الجرجاني و دي سوسير؟

وتتفرع هذه الاشكالية إلى مجموعة من التساؤلات و هي:

ما هو مفهوم النظم؟ و ما هو مفهوم النظام؟.

إلى أي مدى يتوافق مفهوم النظم مع مفهوم النظام؟.

الفرضيات: أليس النظم في التراث العربي يقف جنبا إلى جنب مع النظام في الدرس اللساني؟.

هل أخذ الغربيون جهود علماء العرب و حاولوا صياغتها؟.

و الهدف من هذا البحث هو محاولة تأصيل نظرية لسانية عربية و إبراز قيمة التراث اللغوي العربي، من خلال الكشف عن أهم نقاط المقاربة بين الجرجاني و دي سوسير.

و من أجل عرض الموضع عرضاً منسجما و يسمح لنا بتحقيق النتائج المرجوة من البحث فقد اتبعت خطة معينة في بحثي احتوت على:

مقدمة فتمهيد يليهما مبحثين، يندرج ضمنا كل مبحث مجموعة من مطالب، و ختمت البحث كما هو معلوم بخاتمة و قائمة المصادر و المراجع.

في التمهيد تحدثت عن التراث اللغوي العالمي و العربي.

أما المبحث الأول: مصطلح النظم و النظام في الدراسات اللغوية القديمة و الحديثة: و وقفت فيه عند مفهوم النظم و النظام و الحديث عن مقتضيات كل واحد منهما.

المبحث الثاني: الموازنة بين عبد القاهر الجرجاني و فرديناند دي سوسير.

و هذا المبحث عبارة عن الجانب التطبيقي الذي تناولت فيه أهم نقاط الالتقاء بينهما.

أما الخاتمة: فتضمنت ما توصل إليه البحث من نتائج.

المنهج المتبع: اعتمدت على المنهج الوصفي الذي يقوم على وصف الظاهرة و تحليلها، من خلال تحديد مفاهيم و مقتضيات كل من النظم و النظام، كما اعتمدت على المنهج المقارن في الموازنة بين عبد القاهر الجرجاني و فرديناند دي سوسير.

و قد استعنت في هذه الدراسة على مجموعة من الدراسات و الكتب أهمها: عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز"، و دي سوسير "علم اللغة العام"، و دراسة حسام البهنساوي "أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث"، و مذكرة "النسق و دوره في اللسانيات العامة مدونة دي سوسير انموذجا"،و دراسة الأستاذة عائشة برارات دلائل الإعجاز مقاربة لسانية من البنيوية إلى التداولية و غيرها.

الصعوبات: من طبيعة الأمور أن كل بحث لا يخلو من الصعوبات، و التي لا تخرج عن تلك التي يمكن أن يلقاها أي باحث و تتمثل في صعوبة تحليل بعض مواد الكتب التراثية، حيث وجدت صعوبة في فهم ما ترمي إليه نصوص دلائل الاعجاز، إضافة إلى أن الموضوع جديد ولم أجد فيه إلا بعض الاشارات العابرة في الكتب التي تربط التراث بالدرس اللساني.

و في الأخير أنوه للأستاذة الفاضلة **عائشة برارات** التي أمدت لي يد العون بتوجيهاتها السديدة وأفكارها الصائبة التي أسهمت في إنجاز هذه المذكرة.

تمهيد

تعتبر الدراسة اللغوية قطبا أساسيا في تشكيل التراث المعرفي و الفكري للحضارة الإنسانية، لذلك كان تاريخ الأمم السابقة غني بالدراسات اللغوية التي تبحث في الظاهرة من جميع مستوياتها الصوتية و التركيبية و الدلالية، هذا ما أدى بالإنسان إلى الوصول إلى حقائق عدة حول عدة حول اللغة بشكل عام، ولهذا نجد اهتمام القدماء باللغة لم ينقطع قط خصوصا في المجتمعات التي كانت للغاتها علاقة مباشرة بالدين مثل علاقة الهنود باللغة السنسكريتية والأوربيين باللغتين اليونانية و اللاتينية و العرب بالغة العربية[1].

فإذا ما تأملنا في تراث **الحضارة الهندية** نجد الدراسة اللغوية من مرتكزات المعرفية للفكر الهندي، حيث نشأت وتطورت هذه الدراسة في القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد، على يد نفر غير قليل من الباحثين يتقدمهم اللغوي الهندي **بانيني** الذي يعد من أعلام المدرسة الهندية القديمة[2]، يقول **بلومفيد** " ...**يعد بانيني معلما من أعظم معالم الذكاء الإنساني** ..." بحيث قدم عرضا شاملا و دقيقا للقواعد الصرفية و النحوية للغة السنسكريتية بوصفها أقدم لغات الأسرة الهندوأوربية[3]، وقد كان الدافع الأساس لهذا الزخم المعرفي هو وجود كتاب مقدس لدى الهندوس الذي ينعت بـ :" **الفيدا**" الذي كان مركز اهتمام الفكر اللغوي الهندي، فالحضارة الهندية اهتمت اهتماما بالظاهرة اللغوية، حيث ركزت على الجانب الصوتي الذي أخذ بعده العلمي في أبحاث اللغوي بانيني[4].

أما في **مجال النحو**، فقد بين الهنود في الدراسات نحوية أن الكلمة تنقسم إلى أسماء وأفعال و حروف، كما اشترط الهنود في مجال الجملة توفر عناصر هي :إمكانية التوقع المتبادل، والمناسبة الدلالية، والتجاوز في الزمان، كما بينوا انقسام الفعل إلى ماضي و حاضر و مستقبل، وعرفوا المفرد و المثنى و الجمع منذ عصر مبكر[5].

---

[1]- ينظر: شرف الدين الراجحي، مبادئ علم اللسانيات الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، د ت ص:29.

[2]- ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، كلية الدراسات الإسلامية و العربية، دبي، ط2،1434هـ.2013م، ص:9.

[3]- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، عنابة، الجزائر،د ط، 2003 م، ص:36.

[4]- ينظر: أحمد حساني، المرجع السابق،ص:10.

[5]- ينظر: نعمان بوقرة، المرجع السابق،ص:37.

و **الحضارة اليونانية** كغيرها من الحضارات لها رصيد معرفي رائد في مجال الدراسة اللغوية، حيث تتجلى القيمة العلمية للتراث اللغوي اليوناني، في البحوث التي قدمها **أفلاطون** و**المدرسة الرواقية** في المقاربات الفلسفية و البحث عن الحقيقة المعرفية و الوجودية، منها الحقيقة اللغوية[1]، إن أول إنجاز في اللسانيات في اليونان يعود إلى الألف سنة الأولى قبل الميلاد حيث بتصميم نظام حروف أبجدية لكتابة اللغة اليونانية، وقد صار هذا النظام أساس الحروف الأبجدية اليونانية للغة أثينا الكلاسيكية و اللهجات الأوربية الأخرى[2]، ونلفت الانتباه إلى أن المعرفة اللسانية في تلك الفترة اقتصرت على معرفة الكتابة، و تشهد كلمة " **جراماتيكوس** " وتاريخها بأن أول عمل لغوي علمي في اليونان كان تطور و استعمال الكتابة[3].

وبعد الحضارة اليونانية نجد أيضا **الحضارة الرومانية** و التي كانت الوارث الشرعي من الناحية التاريخية للتراث اللغوي اليوناني، إلا أنها قد طبعت هذا التراث بخصوصياتها الثقافية والحضارية فأسهمت في دفع الحركة العلمية في مجال الدراسة اللغوية، ولاسيما من جانبيها الدلالي و البلاغي[4]، وكانت العلوم اللغوية الرومانية تطبيقا للفكر اليوناني ومن أشهر الكتاب الرومانيين **فارو** وهو أول كاتب لاتني اهتم بالموضوعات اللغوية، وقد اشتهر بتعريفه لقواعد اللغة بأنها "المعرفة المنتظمة لاستعمال اغلب الشعراء و المؤرخين و الخطباء" و بتقسيمه الثلاثي للدراسات اللغوية وهي: الاشتقاق و الصرف و النحو[5].

ويمكننا أن نلخص إلى أن اللغة ظاهرة إنسانية لاحظها الإنسان منذ أن خلق، وقد حاول دراستها واكتشافها، وهكذا نجد أن تاريخ الإنسان بغض النظر عن جنسه وعرقه وأصوله وفصله مليء بالدراسات التي تناولت الظاهرة اللغوية وبعد أن تعرفنا على اللغوي الغربي نحاول أن نبين في مقابله التراث اللغوي العربي.

---

[1]-ينظر: أحمد حساني، المرجع السابق، ص:10 و11.

[2]-شرف الدين الراجحي، المرجع السابق، ص:30.

[3]-ينظر: المرجع نفسه، ص:30.

[4]-ينظر: أحمد حساني، المرجع السابق، ص:11.

[5]شرف الدين الراجحي، المرجع السابق، ص:32.

– التراث اللغوي العربي:

ومع ظهور الإسلام لم يكن البحث اللغوي عند العرب من الدراسات المبكرة التي خفوا لها سرعا، لأنهم وجهوا اهتمامهم أولا إلى العلوم الشرعية وحين فرغوا منها اتجهوا إلى العلوم الأخرى[1]، يقول **السيوطي** في كتابه "**تاريخ الخلفاء**" منذ منتصف القرن الثاني الهجري بدأ علماء المسلمين يسجلون الحديث النبوي و يؤلفون في الفقه الاسلامي و التفسير القرآني، وبعد أن تم تدوين هذه العلوم اتجه العلماء وجهة أخرى نحو تسجيل العلوم غير الشرعية ومن بينها اللغة و النحو "[2].

وقد نشأت الدراسة اللغوية في رحاب التحول الفكري و الحضاري الذي أحدثه القرآن الكريم في البيئة العربية، انطلاقا من الشعور بمعجزة البناء اللغوي على المستويين التركيبي والدلالي[3].

إن البحث اللغوي العربي قد تنوع و تعددت جوانبه فقد اهتموا بالأصوات و النحو والصرف و المعجم ،وقد حظي الجانب الصوتي باهتمام خاص لدى الدارسين الأقدمين على اختلاف توجهاتهم العلمية[4]، لدرجة أن العالم الإنجليزي **فيرث** يصرح بقوله:"**إن علم الأصوات قد نما و شب في خدمة لغتين مقدستين هما السنسكريتية و العربية** "[5].

لقد أدرك النحاة العرب قصور فهمهم نحو العربية وصرفها مالم يدرسوا **أصواتها** فكانت عنايتهم بها شديدة، فتحدثوا عن مخارج الأصوات، كما تحدثوا عن صفاتها العامة و الخاصة و قوانينها ويتجلى ذلك فيما صنعه **ابن سينا وابن سنان الخفاجي و الخليل** في كتابه "**العين**" **و سيبويه** و **المبرد وابن جني** وغيرهم[6].

أما فيما يخص **الدراسة الصرفية** يذكر **الدكتور تمام حسان** أن علماء العرب قد أجادوا في دراسة مستوى الصرف إجادة ماتزال تستحوذ إعجاب اللغويين في مختلف العالم حيث

---

[1]–ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط6، 1988، ص:79.

[2]–المرجع نفسه، ص:79.

[3]–أحمد حساني، المرجع السابق، ص:161.

[4]–ينظر: أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص:114.

[5]–ينظر: أحمد حساني، المرجع السابق،ص:161.

[6]–ينظر: خليل ابراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد، د ط، 1983م، ص:4.

يقول:"وهذه الشعبة من دراسة اللغة، وإجادة القول فيها، أفردت الصرفيين العرب بمكان لا يدانيه أي مكان أخر في عالم اللغويين قديما و حديثا، ولا يزال كشفهم عن النظام الصرفي موضع الإعجاب و الاحترام في نظر اللغويين في أنحاء العالم[1].

و أما في مجال **الدراسة النحوية**، فقد بلغت هذه الدراسات شأن كبير عند العرب بحيث ظهرت العديد من المدارس و اتجاهات التي اختلفت فيما بينها كمدرسة البصرة والكوفي والمدرسة البغدادية و المصرية و الأندلسية، فنجد مؤلفات نحوية هائلة للمهتمين بالدراسات اللغوية و النحوية منهم الكسائي 197، والفراء 207، و ثعلب 291 ، و ابن جني 391 وغيرهم، حيث مثلت مؤلفاتهم أساسا قويا في الحفاظ على اللغة العربية[2].

أما دراسات العلماء العرب في **مجال الدلالة و المعجم** فإنها تشهد على قدرتهم على استيعاب مفاهيم هذا المستوى اللغوي فقد امتدت البحوث الدلالية العربية من القرون الثالث والرابع و الخامس الهجرية إلى سائر القرون التالية لها، و هذا التاريخ المبكر إنما يعني نضجا أحرزته اللغة العربية[3]، فقد اهتموا بالظواهر اللغوية كالترادف، والمشترك اللفظي والأضداد وغير ذلك، وكذلك اهتموا بالحقيقة والمجاز و درسوا الكثير من الأساليب كالأمر و النهي، وتعد نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني بؤرة الدرس الدلالي العربي[4].

– علاقة اللسانيات الحديثة بالتراث اللغوي العربي:

هناك علاقة قائمة بين التراث اللغوي العربي و اللسانيات الحديثة، فإذا ما عدنا إلى الحضارة الإنسانية من العرب إلى الغرب، نجد أن النهضة اللاتينية قامت أساسا على مستخلصات الحضارة العربية بعد أن أقبلت على ترجمة أمهات التراث فيها، وقد عمد الغرب إبان نهضة إلى نقل علوم العرب و معارفهم وبالتالي أصبح أعلام الحضارة العربية ركائز لغرب في

[1]–حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظرية البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة، القاهرة د ط، 1414هـ. 1994م، ص:4.

[2]–ينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005ص:39.

[3]–ينظر: فايز الداية، علم الدلالة، دار الفكر، دمشق، ط2، 1417هـ.1996م، ص:6.

[4]–ينظر: بوقرة نعمان، المرجع السابق، ص:24.

علومه و معارفه[1]، وهذا لاحظنه في اللسانيات الحديثة من خلال تأثر أعلامها بالتراث اللغوي العربي، نذكر من هؤلاء العلماء الذين ربطوا بين الفكر اللغوي القديم و نظريات البحث اللغوي **نعوم تشومسكي، و لوروا**، و **وليبتشي، و جورج مونان**، و **كريستيفا**، و **رووبنز**، حيث اعترف هؤلاء العلماء الغربيين بتفوق تراثنا اللغوي العربي من خلال الدراسات الصوتية والدراسات العجمية، و يشير **روبنز** بأهمية الفكر اللغوي العربي إشارة جديرة بالاعتبار حيث يؤكد أن أي باحث لا يستطيع أن ينكر ما قدمه العرب من دراسات قيمة للغتهم[2]، ونلاحظ أن بعض هذه الدراسات أثبتت أن الفكر اللغوي العربي له فضل السبق في الكثير من القضايا و المباحث اللغوية، التي توصل إليها البحث اللغوي الحديث، وبخاصة المناهج الوصفية البنيوية التي تربعت على عرش الدراسات اللغوية الحديثة، والتي أصل معطياتها العلم اللغوي السوسري **فرديناد دي سوسير** أوائل القرن العشرين[3].

ونجد بعض الدراسات الحديثة تبرهن لنا تقارب بين الدراسات اللغوية العربية القديمة وبين الدرس اللغوي الحديث لدى الغرب، من بينها البحث الذي قام بيه الدكتور **تمام حسان** بعنوان "إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا" و الدكتور **محمد عبد السلام شرف الدين** في بحثه بعنوان "التركيب و مدى عناية اللغويين العرب بدراسته"، و الدراسة التي قام بيها الدكتور **صالح بلعيد** في كتابه "التراكيب النحوية و سياقتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني من خلال قيامه بوازنة بين أراء الجرجاني و بعض العلماء الغربيين أمثال دي سوسير.

وفي الأخير نستطيع أن نقول أن هناك علاقة بين اللسانيات الغربية و التراث اللغوي العربي، ونتج عن هذه الصلة التأثر ببعض أعلامها، وهذا ما سنوضحه من خلال الحديث عن أهم نقاط التقاطع بين الجرجاني و دي سوسير في المبحث الثاني.

---

[1]-ينظر: عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، دار العربية الكتاب، طرابلس، لبيا، ط2، 1986، ص:22.

[2]-ينظر: حسام البهنساوي، المرجع السابق، ص:2و4.

[3]-ينظر: المرجع نفسه، ص:7.

المبحث الأول

مصطلح النظم و النظام في الدرس اللغوي القديم و الحديث

- ✓ المطلب الأول: إشارات إلى مصطلح النظم في الدراسات اللغوية قديما
- ✓ المطلب الثاني: مصطلح النظام في الدرس اللساني الحديث

المطلب الأول: إشارات إلى مصطلح النظم في الدراسات اللغوية قديما.

أولا: مصطلح النظم قبل عبد القاهر الجرجاني

لقد تضاربت الآراء حول مصطلح النظم في الدروس اللغوية عند الكثير من النحاة و البلاغيين، قبل أن تبرز بذور هذه الفكرة مع عبد القاهر الجرجاني، بمئات السنيين و الذي أنشأ لنا نظرية النظم، ولكن قبل الحديث عن هذه النظرية اللغوية عند الجرجاني، لا بد من الاشارة الى بعض الدراسات السابقة التي تناولت النظم قبله، فمنهم **سيبويه** (**175**هـ)الذي تحدث عن معنى النظم و ائتلاف الكلام، وما يؤدي الى صحته وفساده وحسنه و قبحه، حيث قال: "هذا بابا الاستقامة من الكلام و الاحالة: فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غدا، و أما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره تقول: أتيتك غدا و سآتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل و شربت ماء البحر و نحوه، و أما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، و كي زيدا يأتيك، وأشباه هذا، وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"[1]، أشار سيبويه إلى مصطلح النظم من خلال تناوله باب الاستقامة من الكلام و الاحالة، بحيث تجلى ذلك بوضح من خلال الأمثلة التي قدمها من حيث حسن اللفظ و قبحه و يرجع ذلك إلى النظم من حيث علاقته بغيره، ولم تكن إشارته للنظم مباشرة و لكنه لمح اليه في الكثير من المواضيع بكلمة "التأليف" وذلك انطلاقا من الألفاظ المفردة لضمّها في شكل كتل أو مجموعات كلام مفهوم، منطلق مما يتفوه به العرب السليقيين، و بذلك كان سيبويه أول من أقام الجيد أسسا من أبنية مفردات اللغة، وتوصل الى وضع الأسس الأولى للنظرية اللغوية في مسألة حسن الكلام بوضع ضوابط الكلام من كلام العرب"[2].

و إذا كان سيبويه يرى أن النظم هو التأليف، **فنجد بشر بن المعتمر** (**210**هـ) تحدث عن الألفاظ في صحيفته، و التي وردت فيها عبارات تفيد النظم و يقول في ذلك: "فاذا

[1]-سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط3، 1408هـ .1988م،ج1،ص:26.

[2]-ينظر صالح بلعيد، نظرية النظم، دار الهومة، الجزائر، دط، 2002، ص:25.

وجدت اللفظة لم تقع موقعها، ولم تصر إلى قرارها، وإلى حقها من أماكنها، المقسومة لها، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها، وكانت قلقة في مكانها نافرة من موضعها، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن، ونزول في غير أوطانها"[1]، و يتضح من قوله أنه أشار إلى المكان الذي يجب أن توضع فيها الألفاظ، فيستحسن على الشاعر وضع اللفظة في مواقعها المناسبة لها، حتى تلقى حقها، وهذه اشارة الى مصطلح النظم.

و أما عن **الجاحظ** (255ه) بين نظم القرآني ونظم الكلام نحو قوله: "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد أفرغ افراغا واحد، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"[2]، أشار الجاحظ في هذا القول الى ثلاثة مصطلحات، (التلاحم، السبك، الافراغ)كما تحدث عن اللفظة المفردة و اشترط فيها شروط وهي:" أن تكون خالية من تنافر الحروف، لا وحشية، جارية على ألسنة العرب، ومهيكلة قواعديا"[3]، نرى الجاحظ يعطي الألفاظ قيمة و أولوية على المعاني حيث اعتنى بالألفاظ ونظمها و رأى أنها تحسن أكثر في النظم، ولم يعطي المعاني قدر ما تستحق ولم ينظر إلى ما تقيده معاني النحو في ذلك النظم بل نظر إلى الصياغة.

ولقد كان **ابن قتيبة** (276ه) من الذين تأثروا بدراسات الجاحظ وأفادوا منها، ولعل أبرز نواحي التأثير هو ما تناول فيه ابن قتيبة الحديث عن ألفاظ القرآن و مدلولاتها في كتابه: "تأويل مشكل القرآن"[4]، تحدث عن النظم من خلال اهتمامه بالعلاقات النحوية بين ألفاظ العبارة وأفرد بابا أسماه: تأويل الحروف التي ادعى على القرآن بها الاستحالة و فساد النظم، وقد شغل ابن قتيبة بالرد على الطاعنين و المخالفين وفكرة النظم عنده بلاغية على ما ظهر من كلامه في كتابه (تأويل مشكل القرآن) و من الحاجه في بسط مذاهب البلاغة المختلفة دون أن يقف

---

[1]–حاتم الضامن، نظرية النظم، مكتبة مازن عبد القاهر المبارك، بغداد، د ط، 1أيلول1989، ص:09.

[2]–الجاحظ، البيان و التبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7،1418 هـ .1998م، ج1،ص:67.

[3]–مرجع نفسه، ص:67.

4–صلاح الدين محمد عبد التواب، النقد الأدبي دراسات نقدية و أدبية حول إعجاز القرآن، دار الكتاب الحديث، القاهرة، دط، 1423هـ .2003م، ص:33.

أمام التركيب، وضم الكلام بعضه الى بعض على ما يقتضه علم النحو"[1]، يرى ابن قتيبة أن النظم يكمن في بلاغة تركيب الألفاظ و علاقتها النحوية، و هذا ما تفتضيه العلاقة القائمة بين النظم و علم النحو.

أما عن **المبرد ت (285ه)**: يرى المبرد "أن النظم في دقة الفروق اللغوية التي تحدث من حال لأخر، ويستشهد على ذلك بتلك المحاورة اللطيفة بينه و بين شيخه في الفروق اللغوية بين زيدا قائم، إن زيدا قائم، إن زيدا لقائم، فالجملة الأولى تقريرية اخبارية و الثانية جواب عن سؤال سائل، والثالثة جواب انكار منكر"[2] كما نجد المبرد يربط البلاغة بالنظم، فهي حسن النظم، و يقول في ذلك: " فحق البلاغة احاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام، وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة اختها ومعاضدة شكلها[3].

وعن **علي بن عيسى الرماني (ت384ه)** : في كتابه (النكت في اعجاز القرآن) عن وجوه الاعجاز و رأى أنها سبعة: ترك المعارضة مع توفر الدواعي، شدة الحاجة، التحدي للكافة، الصرفة، البلاغة، الأخبار الصادقة عن المستقبل، نقص العادة وقياسه بكل معجزة، وفي حديثه عن البلاغة وعن التلاؤم، وعن حسن الكلام وسهولة اللفظ وفي حديثه عن النظم يقول:" دلالة الأسماء والصفات متناهية، فأما دلالة التأليف فليس لها نهاية: "لأن دلالة التأليف ليس لها نهاية، كما أن الممكن من العدد ليس له نهاية يوقف عندها لا يمكن أن يزداد عليه"[4]، بما أن الروماني يشير إلى فكرة النظم على أنه دلالة التأليف.

فإن **أبو سليمان حمد محمد بن ابراهيم الخطابي ت 388ه:** في كتابه: بيان اعجاز القرآن يرى أن الكلام يقوم على: لفظ حامل، معنى به قائم، ورباط لهما ناظم"[5]، أشار

---

[1]-أبو محمد عبد الله بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1339ه 1973م، ج1، ص:299.

[2]-صالح بلعيد، المرجع السابق،ص:100.

[3]-حاتم الضامن، المرجع السابق، ص:13.

[4]-علي بن عيسى الروماني، النكت في إعجاز القرآن، تح: خلف الله و محمد زعلول، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1968،ص:107.

[5]-صاح بلعيد، المرجع السابق،ص:102.

الخطابي في هذا القول إلى فكرة النظم في التركيب و الارتباطات التي يطلق عليها النظم، ويمكن توضيح فكرة النظم أكثر عند الخطابي فيما راه من الاعجاز القرآني و ما حمله من فصاحة ونظم تأليف، يقول" اذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف و الفضيلة،حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، و لا ترى نظما أحسن تأليف وأشد تلاؤم و تشاكلا من نظمه"[1]، فالخطابي في قوله أبرز منزلة القرآن الكريم، ورأى أن سر اعجازه يكمن في فصاحة الفاظه و بلاغتها، وحسن نظمه وتأليفه، أي حسن مواقع الألفاظ ودلالة ترتيبها و تأليفها.

و يأتي **أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت403ه)**: في دراسته للإعجاز القرآني عن قضية اللفظ و المعنى، "فمدار بحثه قائم قبل كل شيء على الصياغة و النظم، وعلى العلاقة القائمة بين اللفظ و المعنى، ويرى أن اللفظ جزء من النظم يوجه المعنى، ولا يأخذ بالقول القائل: ان الفصاحة الكلام راجعة للألفاظ وحدها، فيقول: "ليس الاعجاز في نفس الحروف وانما في نظمها واحكام وصفها، وليس وصفها أكثر من وجودها متقدمة أو متأخرة ومرتبة في الوجود "[2].

لقد سار **الباقلاني** على نحو **الخطابي**، وأخذ بفكرة النظم التي نادى بها، ورأى أن ترتيب الألفاظ في العبارة خاضع لترتيب المعاني في النفس.

بعد ذلك يأتي **أبو هلال العسكري** في كتابه: "**الصناعتين**"، فقد قسم الكلام في بداية كتابه إلى بلاغة و فصاحة، فخص البلاغة بالمعاني، ثم تكلم عن الفصاحة و خصها بالألفاظ و أولى عنايته بهما لوجود علاقة بينهما، ويدلي أبو هلال العسكري برأيه في نظم الكلام وحسن رصفه داخل السياق، وبأن تأخذ الألفاظ مواضعها في العبارة لتأدية دلالتها من الأمكنة التي يجب أن تكون فيها، فيقول:" ومن حسن الرصف أن توضع الألفاظ في مواضعها و تمكن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم و التأخير و الحذف و الزيادة الا حذف لا يفسد

[1]-وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق، ط1، 1403ه1983م،ص،ص:27،28.

[2]-محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، دط، ص:117.

الكلام و لا يعمي المعنى، و تضم كل لفظة إلى شكلها و تضاف إلى لفظها"[1]، و إذا كان أبو هلال العسكري في موضع حديثه عن الألفاظ أشار إلى مصطلح النظم بكلمة الرصف.

فإن **القاضي عبد الجبار** (415هـ) بلور هذه الفكرة في كتابه "المغني" مما زادها وضوحا أكثر حيث" يعطي الميزة لضم الكلمات الى بعضها لا الى المعاني الغفل، ولم يعطي قيمة للفظة المفردة، وفصاحتها في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة"[2]، فهو يعتبر أن اللفظة لا قيمة لها خارج تركيبها، ويورد نصا لشيخه هاشم يحدد فيه فهمه للفصاحة و النظم، يقول: "قال شيخنا أبو هاشم: انما يكون الكلام فصيحا لجزالة لفظة وحسن معناه ولابد من اعتبار لأمرين، لأنه لو كان جزل اللفظ ركيك المعنى لم يعد فصيحا، فإذن يجب أن يكون جامعا لهذين الأمرين، وليس فصاحة الكلام بأن يكون له نظم مخصوص، لأن الخطيب عندهم قد يكون أفصح من الشاعر، والنظم مختلف اذا اريد بالنظم اختلاف الطريقة"[3]، وأشار أيضا الى فكرة توخي معاني النحو بقوله: "واعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وانما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالمواقع"[4]، ومن خلال هذا يتبين لنا أن القاضي عبد الجبار قد أدرك مفهوم النظم على النحو الذي أدركه عبد القاهر الجرجاني.

و الخلاصة: أن في دراسة هؤلاء السابقين ما يشير إلى أن النمط الرفيع في فن القول إنما مرجعه إلى بديع النظم و عجيب التأليف...فقد كانت فكرة تتردد على ألسنتهم جميعا لكنهم جميعا تحدثوا عن النظم دون أن يفصلوا فيه، ودون الحديث عن مفعوله في الأداء الكلامي[5]، ولم تنل دراستهم حظها الكامل من العناية و الاهتمام إلا على يد عبد القاهر الجرجاني الذي يعتبر

[1]-ينظر: وليد مراد ،المرجع السابق،ص:29 و31.

[2]-صالح بلعيد، المرجع السابق،ص:104.

[3]-حاتم الضامن، المرجع السابق، ص:21.

[4]-وليد محمد مراد، المرجع السابق،ص:39.

[5]-ينظر: صلاح الدين محمد عبد التواب، المرجع السابق، ص:136.

أخر من أرسى قواعد النظم و دافع عنه بحماسة وبنى له أسسا حتى أصبح النظم نظرية لها صيتها الكبير "[1].

ثانيا: مصطلح النظم مع عبد القاهر الجرجاني:

لقد تحددت معالم النظم واتضحت قسماته على يد عبد القاهر الجرجاني دون غيره، لأن النظم قبل عبد القاهر لم يكن مقصودا عن عمد أو مدروسا بطريقة مباشرة، وإنما هو شيء عفوي نابع من ملاحظات العلماء حين يؤخذون بجمال الشعر أو الإعجاز في القرآن الكريم في داخل هذا النطاق فحسب .أما عند عبد القاهر فهو عمل مدروس ومحور يدور حوله كتابه "دلائل الإعجاز" كله، وهو القصد من تلك الدراسة الواسعة التي نهضت على أكتاف النحو وعلى تماسك لبناته حتى إنه يرجع كل جمال في النظم إلى مراعاة أحكام النحو[2].

ومن خلال دراسته الجادة في كتابه: "دلائل الإعجاز "تحت عنوان النظم أورد عبد القاهر الجرجاني بعض المصطلحات التي لها علاقة بمصطلح النظم وهي التعليق، و الترتيب، و البناء، و التأليف، و الموقع و الصياغة، وقبل الإشارة إلى مفهوم هذه المصطلحات وعلاقتها بالنظم، نشير إلى مفهوم النظم عند الجرجاني[3].

1- مفهوم النظم عند الجرجاني (400-471هـ) (1010-1078م): يرى عبد القاهر أن النظم هو "تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسب من بعض"[4]، فنظم عنده هو التعليق و في موضع أخر يقول: "وليس النظم في مجمل الأمر إلا أن يضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه، فلا تزيغ عندها"، ويقول أيضا: "فمداره على معاني النحو و على الوجوه و الفروق التي من شأنها أن تكون فيه، وليس هو إلا توخي النحو في معاني الكلم، فلا معنى للنظم غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما

[1]-ينظر: صالح بلعيد، المرجع السابق،ص:104.

[2]-خالد ربيع الشافعي، قسم اللغة العربية، كلية المعلمين، جازان، ص:11.

[3]-ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، دار البيضاء، المغرب، دط،1994، ص:186.

[4]-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1،1424هـ2004م، ص،ص:20،21.

بين الكلم"[1]، و يتضح لنا أن النظم عند عبد القاهر هو نظم المعاني النحوية في نفس المتكلم لا بناء الكلمات في صورة جملة.

2- مفهوم التعليق اصطلاحا:

2-1 التعليق: أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر الجرجاني هو مفهوم التعليق الذي يعتبره أساس النظم و الذي قصد به: "إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية لأن التعليق يحدد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعا في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية[2].

حدد عبد القاهر الجرجاني أقسام التعليق في ثلاثة أقسام: وهو تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما[3].

أ)- تعلق الاسم بالاسم: وذلك بأن "يكون خبرا عنه أو حالا منه، أو تابعا له: صفة أو تأكيدا، أو عطف بيان أو بدلا، أو عطفا بحرف، أو بأن يكون الأول مضافا إلى الثاني، أو بأن يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل، ويكون الثاني في حكم الفاعل له أو المفعول، وذلك في اسم الفاعل كقولنا: زيد ضارب عمرا وكقوله تعالى "أخرجنا من هذه القرية، الظالم أهلها" [النساء 75]. وقوله تعالى: وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ [الأنبياء: 2 و3].

- **اسم المفعول:** كقولنا: زيد مضروب غلمانه، وكقوله تعالى: ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ [هود: 103].
- **الصفة المشبهة:** كقوله: زيد حسن وجهه، وكريم أصله، وشديد ساعده.
- **المصدر:** كقولنا: عجبت من ضرب زيد عمرا، وكقوله تعالى: أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا [البلد: 14 و15].

أو بأن يكون تمييزا قد جلاه منتصبا عن تماما الاسم ومعنى تمام الاسم أن يكون فيه ما يمنع من الإضافة وذلك بأن يكون فيه نون تثنية كقولنا: قفيزان برا، أو نون جمع كقولنا: عشرون درهما، أو تنوين كقولنا: راقود خلا وما في السماء قدر راحة سحابا، أو تقدير تنوين

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:21.

[2]- تمام حسان، المرجع السابق،ص،ص:188-189.

[3]- المرجع السابق،ص:46.

كقولنا:خمسة عشر رجلا، أو يكون قد أضيف إلى شيء فلا يكمن إضافة مرة أخرى، كقولنا: لي ملؤه عسلا، وكقوله تعالى: مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا [آل عمران: 91][1].

ب)– تعلق الاسم بالفعل: وذلك "بأن يكون فاعلا أو مفعولا، فيكون مصدرا قد انتصب به.

– **المفعول المطلق**: كقولك: ضربت ضربا.

– **مفعولا به**: كقولك: ضربت زيدا.

– **ظرفا مفعولا به**: زمانا أو مكانا، كقولك: خرجت يوم الجمعة، ووقفت أمامك.

– **مفعولا معه**: كقولنا: جاء البرد والطيالسة، ولو تركت الناقة وفصيلهتا لرضعها.

– **مفعولا به**: كقولنا: جنتك إكراما لك، وفعلت ذلك إرادة الخير بك، وكقوله تعالى: وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ [النساء: 114]، أو بأن يكون منزلا من الفعل منزلة المفعول، وذلك في خبر كان وأخواتها والحال والتمييز المنتصب عن تمام الكلام مثل: طاب زيد نفسا وحسن وجها، وكرم أصلا.

ومثله الاسم المنتصب على الاستثناء: كقولك: "جاءني القوم إلا زيدا، من قيل ما ينتصب من تمام الكلام"[2]

ج)– تعلق الحرف بهما: وقد قسمها الجرجاني إلى ثلاثة أضرب.

***الضرب الأول**: أن يتوسط بين الفعل والاسم: فيكون ذلك في حروف الجر التي من شأنها أن تعدى الأفعال إلى ما لا تتعدى إليه بأنفسها من الأسماء، مثل أنك تقول: "مررت" فلا يصل إلى نحو زيد وعمرو، فإذا قلت: مررت بزيد، أو على زيد، وجدته وصل "بالباء" أو "على" وكذلك سبيل الواو الكائنة بمعنى "مع" في قولنا: لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها: بمنزلة حرف الجر في التوسط بين الفعل والاسم وإيصاله إليه، إلا أن الفرق أنها لا تعمل بنفسها شيئا، لكنها تعين الفعل على عمله النصب، وكذلك حكم "إلا" في الاستثناء، فإنها عندهم بمنزلة هذه الواو الكائنة بمعنى "مع" في التوسط، وعمل النصب المستثنى للفعل ولكن بواسطتها وعون منها.

***الضرب الثاني**: من تعلق الحرف بما يتعلق به العطف: وهو أن يدخل الثاني في عمل العامل الأول، كقولنا: جاءني زيد وعمرو، ورأيت زيدا وعمرا، ومررت بزيد وعمرو.

---

[1]–عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:46–47.

[2]– المرجع نفسه،ص:47.

***الضرب الثالث:** تعلق بمجموع الجملة: "كتعلق حرف النفي والاستفهام والشرط والجزاء بما يدخل عليه"[1].

فهذه هي الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض، وهي كما تراها معاني النحو وأحكامه، وكذلك السبل في كل شيء له مدخل في صحة تعلق الكلم بعضها ببعض، لا ترى شيئا من ذلك يعدو أن يكون حكما من أحكام النحو و معنى من معانيه[2].

3- مفهوم الترتيب اصطلاحا:

3-1 الترتيب: يقول عبد القاهر الجرجاني "وأن الكلم تترتب في النطق بسب ترتيب معانيها في النفس"[3] وفي موضع أخر يقول:"وأن ليس الغرض بنظم الكلام أن توالت ألفاظها في النطق،بل أن تناسقت دلالتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي يقتضه العقل"[4]، والترتيب هو "وضع العلامات المنطوقة أو المكتوبة في سياقها الاستعمالي حسب رتب خاصة تظهر بها فوائد التقديم و التأخير اللذين كانا موضع عناية فائقة من لدن عبد القاهر، و كذلك يظهر بهذا الترتيب ما كان من الرتب محفوظا أو غير محفوظ5،و عليه فإن مصطلح الترتيب عنصر مهم من عناصر النظم، فترتيب الألفاظ في النطق يرجعها عبد القاهر إلى ترتيب معانيها في النفس،ويضرب الجرجاني لذلك مثالا في قول الفرزدق:

وَمَا مِثْلُـهُ فِي النـاسِ إلاَّ مُمَلَّكًـا أَبُـو أُمِـهِ حَـيٌّ أَبُـوهُ يُـقَارِبُـه[6]

وقد قال عبد القاهر معلق على هذا البيت: "فانظر أتتصور أن يكون ذلك اللفظ من حيث أنك أنكرت شيئا من حروفه أو صادفت وحشا غريب أو سوقيا ضعيف؟ أم ليس أنه لم يرتب الألفاظ في الذكر على موجب ترتيب المعاني في الفكر، فكدو كدر، ومنع السامع أن يفهم الغرض إلا بأن يقدم ويؤخر، ثم أسرف في إبطال النظام وإبعاد المرام وصار كمن رمى

---

[1]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق،ص:47-48.

[2]-فؤاد علي مخمير مخيمر، فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الاعجاز، دار الثقافة، د ط،1983،ص:109.

[3]-المرجع السابق،ص:84.

[4]-المرجع نفسه، ص:14.

[5]-تمام حسان، المرجع السابق، ص:188.

[6]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:98.

بأجزاء تتألف منها صورة ولكن أن يراجع فيها باب من الهندسة لفرط ما عادى بين أشكالها وشدة ما خالف بين أوضاعها..."[1].

نلاحظ أن الغرض من هذا البيت لم يكن واضح مما يمنع القارئ من فهمه. "لا يتصور في عقل أن يقوم بين الكلمات من حيث هي أوعية جوفاء وأجراس نظم "لأنه لا يتصور في الألفاظ وجوب تقديم وتأخير، وتخصيص في ترتيب وتنزيل"[2].

ويضرب الجرجاني لذلك مثلا قول امرئ القيس: (طويل) "قف نبك من ذكرى حبيب ومنزل". لو غيرنا نظمه وقلنا: "منزل قفا ذكرى من نبك حبيب لأخرجناه من كمال البيان إلى مجال الهذيان"[3]، والسبب في تحول هذا الشعر من النقيض إلى النقيض ليس جرس الحروف وخصائص اللفظ الصوتية فإننا لم نضيف كلمة جديدة ولا غيرنا ترتيب الحروف داخل الكلمات، وإنما هو من إبطال نضده وإفساد هندسته وقالبه الذي فيه" أفرغ المعنى وأجرى"[4].

يخلص عبد القاهر إلى أن النظم صنعة يستعان عليها بالفكرة وتستخرج بالرؤية... ثم ينتقل إلى الفكر لا يلتبس بالفكر وإنما يلتبس باللفظ، وما دامت الألفاظ معارض للمعاني فإنها تكون على قدودها أو بعبارة أبين تكون الألفاظ تابعة للمعاني ودائرة في مجالها ترتيبا واتساقا فيقول: "واعلم أن ما ترى أنه لابد منه من ترتيب الألفاظ، وتواليها على النظم الخاص، ليس هو الذي جلبته بالفكر، ولكنه شيء يقع بسب من الأول ضرورة من حيث أن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا وجب اللفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في الترتيب"[5].

---

[1]–محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، دط،2001، ص:33.

[2]–حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، د ط، 1981، ص:505.

[3]–محمد الصغير بناني، المرجع السابق، ص:26.

[4]– المرجع نفسه، ص:506.

[5]–أحمد خليل، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1968ص:58.

4-**مفهوم البناء اصطلاحا:**

4-1 البناء: هو لزم الكلمة حالة واحدة من الشكل لا تتغير بتغير العامل مطلقا ونقيضه الإعراب الذي يعني تغير الكلمة بحسب العامل الذي يسبقها، وقد اختلف في السبب الذي يجلب البناء للكلمة[1]، تطرق عبد القاهر الجرجاني إلى مفهوم البناء من خلال حديثه عن النظم ويعتبر البناء هو: "اختيار المباني التي يقدمها الصرف للتعبير عن المعاني النحوية"[2].

5- مفهوم التأليف اصطلاحا:

5-1 التأليف: يرى عبد القاهر الجرجاني أن التأليف :"هو النظم الذي يضم مجموعة من العناصر المتحدة في العملية اللغوية يكون الكلام حسنا"[3]، ويتضح من خلال تعريفه أن التأليف هو نظم الكلام في مجموعة العناصر اللغوية .

6- مفهوم الموقع اصطلاحا:

6-1 الموقع: يقول عبد القاهر الجرجاني:" وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ

الدالة عليها في النطق"[4]، بحيث يرى الجرجاني أنه: "إذ أوجب لمعنى أن يكون أولا في النفوس وجب اللفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق"[5]، ومن هنا يرى الجرجاني أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، و إنما من حيث ملائمة معنى اللفظة بمعنى التي تليها، و مما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك و تؤنسك في موقع ثم تراها بعينها تثقل عليك و توحشك في موضع أخر"[6].

ويضرب عبد القاهر مثالا على ذلك في قوله: "أنظر إلى كلمة " شيء" في قول عمر بن أبي ربيعة:

وَمِنْ مالئ عَيْنِيهِ مِنْ شَّيءً غَيـرهُ إِذْ أَزَاحَ نَحْوَ الجَمْرةِ البيضِ كَالْدِمَى.

---

[1]-محمد سهير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، دار الفرقان، بيروت، ط1، 1985، ص:26.

2-تمام حسان، المرجع السابق، ص:187.

[3]-صالح بلعيد، المرجع السابق، ص:93.

[4]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق،ص:83.

[5]-المرجع نفسه، ص:83.

[6]-المرجع نفسه، ص:79.

وإلى قول أبي حية:

إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرءُ يُومً وَلَيْلَةٍ تَقَاضَاهُ بِشَّيءً لاَ يَمَلُ التَقَاضِيَا[1]

فإنك تعرف حسنها ومكانها من القبول[2]. وهنا إشارة ضرورة الارتباط بين المعنى والمبنى، فالكلمة لا تتحدد وظيفتها و لا تأخذ قيمتها النحوية في الجملة إلا بموقعها الأخص منه.

7- مفهوم الصياغة اصطلاحا:

7-1 الصياغة: إن الصياغة عند الجرجاني دلالة على جلاء الصورة الأدبية، وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني:

"ومعلوم أن سبيل الكلام التصوير والصياغة وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه بسبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب"[3]، و يتضح لنا أن التصوير و الصياغة هما سبيل الكلام و المعنى الذي يقع فيه التصوير كالفضة أو الذهب و المزية في الكلام لا تكون في النظر إليه بمجرد معناه فقط.

ومن هنا يتضح لنا أن مصطلح النظم ارتبط بالعديد من المفاهيم، حيث ربط عبد القاهر الجرجاني مفهوم النظم بالتعليق حين اعتبر النظم تعليق الكلمات مع بعضها البعض، ومع هذا التعلق بين الألفاظ لابد من ترتيبها بحيث لا نظم في الكلم حتى تترتب ألفاظه و تتعلق فيما بينها، كما نجد عنصر ترتيب الألفاظ يتصل بمواقعها، لأنه لا يمكن أن يتحقق النظم بترتيب المعاني في النفس فقط بل لابد من معرفة المواقع في النفس، مما ينتج عن ذلك بناء و تأليف بين العناصر اللغوية.

ثالثا: مقتضيات النظم:

1- علاقة النحو بالنظم:

استهل عبد القاهر الجرجاني في مقدمة كتابه "دلائل الإعجاز" الحديث عن علم النحو وبيان مدى أهميته وفائدته في الدرس اللغوي.

---

[1]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:80.

[2]-المرجع نفسه، ص:80.

[3]-المرجع نفسه، ص:15.

يقول عبد القاهر الجرجاني "هذا الكلام وجيز يطلع به الناظر على أصول النحو، وكل ماله يكون للنظم دفعة..."[1]، النظم هو ثمرة النحو، لأنه لا يكن أن ننظم كلام بدون قواعد النحو، وكذلك لا يمكن أن يكون لدينا من القواعد المضبوطة بمقاييس وأصول دقيقة من غير أن يكون لها نظم من الكلام قد قصد ترتيبه وفقا لهذه القواعد[2]، و في موضع آخر يقول: عبد القاهر الجرجاني أنه ما دمت "عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازدياد أبعدها، ثم اعلم أن ليست واجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بحسب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم يحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض، تفسير هذا أنه إذا راقك التفكير في (دهر) في قوله فلو اذنبا فإنه يجب أن يروقك أبد، وفي كل شيء، ولا إذا استحسنت لفظ ما لم يسمى فاعله في قوله: وأنكر صاحب فإنه ينبغي أن لا تراه في مكان إلا أعطيته مثل استحسانك ههنا، بل ليس في فضل ومزية ألا يحسب الموضع، وبحسب المعنى الذي تريده، والغرض الذي تؤم"[3].

ولا يمكن الجزم بأنه لا مخرج لنا من الكلام إلا أن نقول: أن النظم ثمار النحو والنحو أصل للنظم، فهما متلازمان لا انفصال بينهما[4].

قضية ربط النحو عند عبد القاهر قضية مهمة للغاية، حيث إنه "لاشك ولا مزية في أن ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم..."، فـ"ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو تعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل شيء منها[5]، ويضفي عبد القاهر إيضاحا إلى ما ذهب إليه بأن القضية في معرفة النحو ليس قضية معرفة قواعد النحو والصرف، وإنما هي قضية معرفة معاني العبارات ووضعها في مواضعها وذلك عندما يرد على من قالوا: "لو كان النظم يكون في معاني النحو لكان البدوي الذي لم يسمح بالنحو قط، ولم

---

[1]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق،ص:14.

[2]-د/ فؤاد على مخيمر مخيمر، المرجع السابق ،ص:138.

[3]-المرجع نفسه، ص، ص:139،140.

[4]- المرجع نفسه، ص:141.

[5]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:21.

يعرف المبتدأ والخبر وشيئا مما يذكرونه لا يتأتى له نظم كلام، وإنا نراه يأتي في كلامه بنظم لا يحسنه المتقدم في علم النحو[1]، **ويقول الجرجاني**: "هذا هو السبل فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ، إلى "النظم" ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أوفساده، أو وصف بمزية وفصل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل، إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه"[2].

إن النحو نظام اللغة و قانونها الصارم، و هو الواقي من الخطأ ويرى الجرجاني بأن النظم لا يحصل الا بترتيب الألفاظ التي هي خدم للمعاني و خاضعة للنحو، وتوخي النحو يقصد به توخي تلك المعاني التي لا تخالف المنطق العقلي، ولا اللغوي، وتوخي النحو يعني مراعاة الذوق الدقيقة في مراعاة التأليف، فينظر مثلا في الخبر و ضروبه ووجوهه مثل قولك: "زيد منطلق وزيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق، والمنطلق زيد، وزيد هو المنطلق، وزيد هو منطلق"[3] فيتم النظر في الخبر و الوجوه التي يقتضها، والشرط وحالته، والحال والوجوه التي تراها فيه مثل قولك: "جاءني زيد مسرعا، وجاءني يسرع، وجاءني وهو مسرع، أو هو يسرع، وجاءني قد أسرع، وجاءني وقد أسرع"[4]، ومعرفة موضع كل منها ومتى يجوز استعماله و هكذا يتبين أن النظم يقوم أساسا على معاني النحو و بدونه فلا قيمة لنظم ولا استقامة له، كما يرى الجرجاني أنه من عوامل مراعاة النحو، عامل التقديم و التأخير و يقول في ذلك: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن واسع التصرف جيد العناية لا يزال يفتر لك عن بديعه و يفضي بك الى لطيفه ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان[5].

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:266.

[2]- المرجع نفسه، ص، ص:82-83.

[3]- المرجع نفسه، ص:97.

[4]- المرجع نفسه، ص:97.

[5]- المرجع نفسه، ص:110.

2- لا فصاحة للفظة المفردة:

و هذا ما تكرار في كلام الجرجاني غير ما مدة و هذا بمراعاة العلاقات النحوية التي تفيدها في الجمل، وهو ما ينكر وجود جمال اللفظة خارج نطاق النظم، وهذا يتضح من خلال جمال اللفظة في مكان و قبحها في أخر، و مثال ذلك قول البحتري:

وَأَنَي وَ إنْ بَلَغْتَنيْ شَرَفَ الْغِنَى أَحَقَقْتَ من رِقِ الْمطَامعِ اخْدعِيْ.

وقول أبي تمام:

يادَهْرِ قومْ مِنْ أخْدَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجَتْ هَذَا الأَنَامْ مِنْ خُرقِكَ[1]

فترى كيف أن لفظة الأخدع كانت جيدة في قول البحتري، و قبيحة في قول أبي تمام، وعليه فالألفاظ لا تتفاضل من حيث هي مجردة و لا مفردة الجانب المعجمي، وهذا لا يدل على المعرفة باللغة بقدر ما يدل عليه معرفة ضم الكلمات بعضها الى بعض، و الجرجاني موقفه من النظم قائم على المعنى و يرفض تفاضل اللفظ مفرد، فالألفاظ تتفاضل فيما بينها داخل التأليف.

3- النظم و الجانب العقلي و النفسي:

اللغة عند عبد القاهر الجرجاني هي المنطق و العقل و المعاني المتصورة في الذهن، بل هي العلاقات القائمة بين المتكلم و المخاطب و في ذهن كل واحد منهما، و النظم يقوم على الروية و التفكير "و جملة الأمر أنه لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد الى الصورة و صفة ان لم يقدم فيه ما قدم، ولم يؤخر ما أخر و بدئ بالذي ثني، أو ثني بالذي ثلث به لم تحصل لك تلك الصورة و تلك الصفة "وعليه نعلم أن الفكرة تكون قبل النطق و الجانب العقلي هو العمدة في عملية النظم، فكل كلمة لها عشها المناسب لها و الذي نبتت فبه فلا يمكنها أن تعيش خارجه "[2].

4- النظم و اللفظ و المعنى:

أعاد عبد القاهر الجرجاني النظر في قضية اللفظ و المعنى و ثار ضد الذين فصلوا بينهما، وأكد على ثنائية اللفظ والمعنى، فهو يرى أن العبرة في مدلول العبارات لا معرفة

[1]- عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:80.

[2]-صالح بلعيد، المرجع السابق، ص:139.

العبارات "فاذا عرف البدوي الفرق بين أن يقول: جاءني زيد ركبا، وبين: قد جاءني زيد الراكب، لم يضره ألا يعرف أنه قال: راكبا كانت عبارة النحويين فيه أن يقولوا في راكب حال "، وعليه المعاني لا تتزايد وانما تتزايد الألفاظ و الربط بين اللفظ و المعنى لا يكون الا عن طريق معاني النحو واحترام قواعده، ان النظم الكلم هي التي تقتضي اثار الألفاظ و ترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس"[1]، تحدث الجرجاني عن عنصر المعنى و مدى قيمته في النص الأدبي، ومع ذلك رد ردا شديدا على من يقدمون الشعر لمعناه، ويقللون من الاحتفال باللفظ، ويقول عبد القاهر الجرجاني: انهم لم يعيبوا تقديم الكلام بمعناه، بل عابوه من حيث كان قضي في جنس من الأجناس بفضل أو نقص ألا يعتبر في قضية تلك الا الأوصاف التي تخص ذلك الجنس و ترجع الى حقيقته، ثم يستدل الجرجاني بكلام الجاحظ في خطأ من يقدم الشعر بمعناه[2]،اهتم الجرجاني بقضية اللفظ و المعنى، ورأى من الاستحالة الفصل بينهما فاعتبرهما بمثابة وجهان لعملة واحدة، كما رد على من يهتمون بالمعنى و يهملون اللفظ حيث يقول الجاحظ: "و المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي و العربي و البدوي و المدني، وانما الشأن في اقامة الوزن و تخير اللفظ و سهولة المخرج، وصحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صياغة و ضرب من النسج و جنس من التصوير"[3].ومنه نستخلص أن للنظم خصائص هي في الحقيقة جزء لا يتجزأ من معاني النحو.

[1]- صالح بلعيد، المرجع السابق، ص، ص:138،139.

[2]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق ،ص:15.

[3]-درويش الجندي، نظرية عبد القاهر في النظم، دار العلوم، القاهرة، مصر، د ط، 1960م، ص:30.

المطلب الثاني: النظام في الدرس اللساني الحديث.

يأخذ مفهوم النظام موضعه في مقدمة المفاهيم اللسانية الرئيسية التي جاء بها علم اللسان الحديث، فهو يمثل أساس المعمار المنهجي الذي وضعت به مبادئ اللسانيات البنيوية و الغرض الجوهري الذي يسعى الباحثون البنيويون إلى اكتشافه في دراستهم للغات البشرية ويتوخون بناء نتائج أبحاثهم على ما تفرزه معطياته و تعمل به أدواته داخل مستويات اللغة المختلفة[1]، و يعد العالم اللساني "فرديناند دي سوسير" من أشهر اللسانيين البنيويين الذي تعرض لمصطلح "النظام" من خلال محاضراته في "علم اللغة العام"، وإن تتبعنا تاريخ مفهوم "النظام" في الدراسات اللغوية السابقة عند بعض علماء القرن التاسع عشر (ق19)، لوجدنا بعض الإشارات إلى مفهوم "النظام"، قبل أن يظهر في الدراسات اللغوية الحديثة، و عليه سوف نتعرض إلى بعض الدراسات التي تناولت مفهوم انتظامية اللغة قبل ظهورها مع "فرديناند دي سوسير".

أولا: مصطلح النظام قبل دي سوسير:

تعتبر مرحلة القرن التاسع عشر أقرب المراحل لسانيات القرن العشرين بالإضافة إلى إحتضانها البدايات الأولى لهذه اللسانيات بفضل ما عرفته جهود بعض اللغويين الذين إستطاعوا أن يتجاوز عصرهم في كثير مما جاءوا به من أفكار و مفاهيم، و لعل ما ميز هذه المرحلة ظهور النزعة التاريخية و الدراسات المقارنة التي تعتبر السمة المميزة للبحث اللساني المعتمد على المنهج التاريخي[2].

و لعل من أهم رواد علم اللغة التاريخي و المقارن "فردريك شليجل"(F.schlegel) الذي طرح في كتابه "أهمية دراسة البنية الصرفية للغات المفحوصة"، لأنها تحمل في داخلها علاقة ورثية، و هذا هو الجانب الذي ركزت عليه الدراسات المقارنة المبكرة بين اللاتينية و اليـونانيـة

[1]-ينظر: كتاب جماعي ضمن أعمال المؤتمر الدولي، دي سوسير بعد مائة عام من الغياب، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، المغرب، دار كنوز، عمان، د ط، 2017م، ص: 267.

[2]-ينظر: الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية دراسة تحليلية إبستمولوجية، دار القصبة، الجزائر، د ط، 2001م ص: 34.

بصفة خاصة، و يعد شليجل واضع مصطلح "Nergleichende Grammatik" «القواعد المقارنة»[1].

يتبين لنا أن شليجل اعتنى بدراسة النظام الصرفي للغات، نظرا لأهمية العلاقات التي تحملها في داخلها، في حين تتميز أعمال "فرانس بوب" Bopp فيما أنجزه في فرنسا و الذي بوأه المرتبة الأولى في حقل النحو المقارن الموسوم "نظام التعريف في اللغة السنسكريتية مقارنة بكل من اليونانية و اللاتينية و الفارسية و الجرمانية"، كما تميز بمعرفته للغات هندوأوروبية و بعض اللغات السامية كالعربية و العبرية، و تواصلت جهوده في تدريس النحو السنسكريتي إلى غاية 1852م ببرلين.

كما دعا "بوب" إلى استقلالية العلم اللساني حينما قال: "إن اللغات التي نعالجها في هذا الكتاب هي مدروسة لنفسها، أي أننا نستخدمها كموضوع بحث لا كوسيلة للمعرفة"[2]، لقد حاول "بوب" من تحليله لما يقدمه من دراسات مقارنة للمجموعة من اللغات التعرف على ملامح اللغة الأوربية الأولى، و ذلك من خلال دراسات جادة في مقارنة الأنظمة[3]، و عقب ذلك ظهرت أعمال الدنماركي "دان راسك" "DanRask" الذي يعد أول من كتب في القواعد النظامية للغتين الإسكندنافية و الإنجليزية الكلاسيكيتين، و يمثل بحثه في العلاقات الاشتقاقية اتجاها رائدا في مجاله، و قد اتبع فيه نظام مقارنة صوت ما في لغة معينة بصوت محدد في عدد من الكلمات في لغة أخرى للكشف عن العلاقة بين اللغتين، و نص "راسك" على أن اللغة التي تملك أدق أنواع القواعد هي أكثر اللغات صفاء و أكثرها أصالة[4].

و في نفس الفترة تقريبا نجد العالم الألماني "فليلهام فون همبولت" "Von Humboldt" صاحب "نظرية رؤية العالم"، يولي اهتماما كبيرا بمسألة ارتباط اللغة بالفكر، ومن أهم ما توصل إليه تقسيمه إلى بنية sprachblau و صورة باطنية و الصورة الظاهرة في الكلام، و في نظرية اللغة

[1]-ينظر: أحمد عبد العزيز دارج، الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، مكتبة الرشد، الرياض، دط،1424 هـ-2003م، ص:61.

[2]-ينظر: نعمان بوقرة، المرجع السابق، ص:60.

[3]-ينظر: المرجع السابق، ص:63.

[4]-ينظر: المرجع نفسه،ص:61.

يعتبرها "نظام عضوي تدرس عبره اللغة دراسة كلية شاملة، بالنظر إلى جميع مناسباتها البنيوية الموجودة فيها"[1]، و يتضح أن "همبولت" يدرس اللغة عبر نظامها دراسة متكاملة و هذه إشارة منه إلى مبدأ انتظامية اللغة كما أنه ركز على خصائص البنية اللسانية في نقطة زمنية محددة بعيدا عن تطورها التاريخي"[2] فهو بذلك يركز على الدراسة التزامنية و يلغي بذلك الدراسة الزمنية، وفي تأكيده على العلاقة الأساسية التي تربط البنية اللسانية بالعقلية القومية و الثقافة المميزة لأمة ما و عليه يقرر في قوله: "إن اللغة متميز لروح أمة بعينها"[3].

و يرى اللغوي الأمريكي ويليام داويتني "W.D.Whitnes" الذي احتل مكانة في الدرس اللساني بفضل إسهاماته التي تجاوز بها معاصريه و هيأ بها لميلاد اللسانيات البنيوية الأوروبية منها و الأمريكية، أن: "اللغة نظام système من الأصوات ذو مضمون معقول، و بأنها تشبه بذلك الأجسام المنتظمة الأجزاء ذوات البنية المعينة"[4] و في موقع آخر يقول: "اللغة الحقيقة نظام كبير من البنى المعقدة جدا و المتوازنة و هي تقبل تماما المقارنة مع جسم منظم"[5].

ومن هؤلاء الرواد المعروفين كذلك "جاكوب غريم" Grime صاحب كتاب "النحو الألماني"، و قد درس هو آخر التغيرات الصوتية في النظام الصوتي الألماني و لغات هندوأوروبية أخرى على ضوء التطور التاريخي و قد عرف عمله هذا بـ"قانون غريم"، و أكمل تلك الجهود الدانماركي "فريز" ببحثه عن قانون ينظم الحالات الشاذة التي توقف عندها غريم[6]، في حين نجد نجد "أنطوان ميي" Entoine meillet في كتابه: (linguistique linguistique générale historique1926) يشير إلى انتظامية اللغة وفي ذلك يقول: "اللغة نظام أين تتجلى جميع الوحدات مشدودة بعضها إلى بعض"[7]، ومن هنا يتبين أن "أنطوان ميي" يرى أن انتظامية اللغة

---

[1]-أنظر: الطيب دبة، المرجع السابق، ص:86.

[2]-نعمان بوقرة، المرجع السابق، ص:63.

[3]-المرجع نفسه، ص:62.

[4]-الطيب دبة، المرجع السابق، ص:38.

[5]-المرجع نفسه، ص:39.

[6]-ينظر: نعمان بوقرة، المرجع السابق، ص:60.

[7]-ينظر: الطيب دبة، المرجع السابق، ص:50.

اللغة إنما تكمن في انتظام و اتساق مجموع الوحدات يعني ذلك تماسك عناصرها بعضها ببعض.

و يذهب "بودوان كورتوناي" D.de courtenay الذي اهتم بدوره بدراسة النظام اللساني للغة السويدية بتقسيم اللسانيات إلى لسانيات تزامنية وصفية و لسانيات زمنية تطورية، ومن خلال ذلك أشار إلى أهمية المنهج الوصفي في الدراسة اللسانية، بالإضافة إلى طرحه العديد من أفكار متصلة بمبدأ النظام[1]، و يتضح لنا من خلال النظرة الوجيزة لما حملته الدراسات اللغوية السابقة، أنها لم تخلو بدورها من إشارة إلى مبدأ انتظامية اللغة، و هذا ما يجعلنا نقر بالأهمية التي حملتها والتي كانت ممهدة في بداية ظهور اللسانيات البنيوية مع العالم اللساني "فرديناند دي سوسير".

أما فيما يخص النحاة المحدثين الذين قدموا أعمال جادة و جهود قيمة استطاعوا أن يضعوا بها الحدث اللغوي الرئيسي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، و قد نشرت أسس نظريتهم بشكل مختصر عام 1878م في مقالة برنماجية في مجلة أسسها اثنان من أكبر أنصارها هما: أوستوف Osthoff، و بروجمان Brugmann، ومن أبرز المبادئ اللغوية لهؤلاء النحاة اكتشافهم لمبدأ الاطراد (الانتظام) في القواعد التي تحكم التغير في الظواهر الصوتية، و لا يكتفي النحاة المحدثون بإثبات التغيرات و وصفها فحسب، بل بحثوا في العلل كذلك ومن أنواع العلل التي يعمل بها النحاة المحدثون: العلل التي تعود إلى الانتظام النطقي وهو ما يكشف عنه داخل القوانين الصوتية المطردة التي تعتمد على التفسير الفيزيولوجي، و العلل التي تقوم على مبدأ المماثلة المبنية على قوانين الترابط بين الأفكار و هذا ما يعتمد على التفسير النفساني[2]،لقد بدى واضحا اعتماد النحاة المحدثون على مبدأ النظام في دراستهم سوآءا في دراسة الظاهرة الصوتية من ناحية التغيرات التي تحصل للصوت، أو من ناحية بحثهم في العلل التي تقوم على الانتظام و المماثلة.

ثانيا: مصطلح النظام مع دي سوسير:

[1]-المرجع نفسه، ص:58.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص،ص:40،39.

تناول دي سوسير مصطلح "النظام" مرات عديدة في كتابه "محاضرات في علم اللغة العام"، حينما عمد إلى تعريف اللغة "langue"، ووضح آلية عملها اللساني، و تحدث عن بعض خصائصها المميزة ومن هنا نشير إلى مفهوم النظام من منظور "فرديناند دي سوسير" الذي اعتبر النظام اللساني هو: "مجموعة من الوحدات تتحدد كل منها في ضوء العلاقات التي تتبادلها مع بقية الوحدات ومع مجموع النظام"[1]، و نظام اللغة كما تصوره دي سوسير ليس مجرد نظام من الوحدات في ذاتها فقط بل هو نظام من القيم أي فيما تحمله الوحدات من اختلافات معنوية فيما بينها[2].

يتضح لنا أن دي سوسير يربط النظام اللغوي بالوحدات التي تحدد في ظل علاقتها بغيرها من الوحدات الأخرى، و لم يعتبره مجرد نظام من الوحدات فقط، بل هو مجموعة من القيم تحدد من خلالها تلك الاختلافات القائمة بينها، لأنه يرى من خلال آلية اختلاف العلامات نستطيع دراسة اللغة دراسة شكلية.

ثالثا: مقتضيات النظام:

يعد العالم اللغوي "دي سوسير" أول من أثار القضايا اللغوية بمفهومها الجديد[3]، حيث عمد إلى دراسة اللغة من خلال طرحه مجموعة من المفاهيم الأساسية في الدرس اللساني الحديث، والتي جسدها في شكل ثنائيات تم عرضها في كتابه: "محاضرات في علم اللغة العام"، و المتمثلة في ثنائية اللغة و الكلام، و مفهوم العلامة اللغوية (الدال و المدلول)، و ثنائية التزامنية و الزمنية، والعلاقات الإستبدالية و التركيبية، و كانت دراسته لهذه الثنائيات دراسة تعتمد على الوصف و الدقة في الملاحظة و الاستقراء، و من هنا يمكننا أن نحدد أين يتجلى مفهوم النظام و ما مدى ارتباطه بثنائيات التي جاء بها "دي سوسير".

1- تحديد مفهوم اللغة نظام:

---

[1] الطيب دبة، المرجع السابق، ص:87.

[2] -المرجع نفسه، ص:87.

[3] -ينظر: سليمان بن سمعون، في قضايا اللسانيات و تحليل الخطاب، دار الضحى، الجلفة، الجزائر، ط1،2019م، ص:38.

لقد فرق دي سوسير بين ثلاثة مفاهيم أساسية في الدرس اللساني، و يعد هذا التمييز إنجاز جديد في البحث اللساني[1]، الذي إنطلاق منه دي سوسير إلى القول بانتظامية اللغة، و تتمثل هذه المفاهيم في "اللغة" و" اللسان" و"الكلام".

أ– اللغة la langue: هي نظام من علاقات و صيغ و قواعد، ينتقل من جيل إلى جيل وليس له تحقق فعلي، لأن الناس لا يتكلمون القواعد و إنما يتكلمون وفقا لها، و أقرب شيء إليها أنها تشبه السمفونية في حين يشبه الكلام العزف على الآلات[2].

ب– الكلامle parole: كل ما يلفظه أفراد المجتمع المعين، أي ما يختارونه من مفردات أوتراكيب نابجة عما تقوم به أعضاء النطق من حركات مطلوبة[3].

ج– اللسان le language: ظاهرة اجتماعية و جزء من الفطرة و يعني الاكتساب و الإنتاج، "و يدل اللسان على النظام العام للغة، و يضم كل ما يتعلق بكلام البشر، و هو بكل بساطة لسان قوم من الأقوام"[4].

لقد قرر دي سوسير غير مرة أن اللغة لا اللسان أو الكلام و أعتبرها موضوع البحث لعلم اللغة، ومن ثم وازن في غير موضوع من كتابه بين هذه المصطلحات، و من تلك الموازنة نتبين سمات كل منها، و نتبين لماذا عدها "دي سوسير" وحدها موضوعا للبحث فيه[5]، يقول دي سوسير:" اللغة جزء محدد من اللسان، و هي إنتاج لملكة اللسان"[6] فهو يعتبرها عرف مكتسب و نتاج إجتماعي لملكة اللسان، في حين يعتبر اللسان في قوله: " أما اللسان ملك للفرد و للمجتمع لا يمكن أن نصنفه، عكس اللغة لها كيان قائم بذاته، فهي تخضع للتصنيف، و تحتل المركز الأول بين عناصر اللسان و هذا التصنيف يضفي نظاما طبيعيا على كتلة غير

---

[1]–أحمد مؤمن، المرجع السابق، ص:121.

[2]–محمد حسن عبد العزيز، المرجع السابق، ص:20.

[3]–المرجع نفسه، ص:20.

[4]–أحمد مؤمن، المرجع السابق، ص:123.

[5]–ينظر: محمد حسن عبد العزيز، المرجع السابق، ص:21.

[6]–فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تح: يوئيل يوسف عزيز، مر: مالك المطلبي، دار أفاق العربية، بغداد، دط، 1980، ص:27.

متجانسة (اللسان) لا يمكن أن تخضع لأي تصنيف آخر[1]، و يقول دي سوسير ضرورة الفصل بين "اللغة" و "الكلام"، يعني في الوقت نفسه "الفصل بين ما هو إجتماعي وما هو فردي، وفصل بين ما هو جوهري وما هو ثانوي عرضي"[2].

ومن هنا نستخلص أهم الفروق التي تميز اللغة عن الكلام: فالكلام نشاط فردي متنوع وهو غير متجانس بينما اللغة متجانسة وهي علامات مختزلة يتلقاها كل فرد من الأفراد الآخرين الذين يستخدمون اللغة نفسها في المجتمع المعين و على هذا فهي موجودة بالقوة في حين أن الكلام موجود بالفعل، و اللغة تختلف عن الكلام بحيث يمكن دراستها مستقلة فاللغات الميتة تستطيع دراسة أنظمتها اللغوية[3].

ويتبين لنا أن دي سوسير كان يريد "أن تدرس اللغة دراسة علمية صحيحة و قد أعانه التفرقة السابقة على أن يحدد ما يمكن دراسته، أي ما هو ضروري وما هو إجتماعي، و ما لا يمكن دراسته أي ما هو عرضي و فردي، فاللغة لا الكلام، و هي التي يمكن أن تدرس لأنها طائفة من علامات لغوية متفق عليها، و طائفة من قواعد تنتظم هذه العلامات[4].

و من هنا عدى "دي سوسير" اللغة "نظام" و عليه ينبغي أن نشير قبل الخوض في تعريف اللغة إلى تفريق دي سوسير بين "اللغة الملكة" و "اللغة المعينة"، فاللغة الملكة مقدرة فطرية بطبيعتها يزود بها مولد بشري، وهي أهم السمات الفطرية التي يتميز بها الإنسان عن الحيوان، أما اللغة المعينة كالعربية أو الإنجليزية أو الصينية فهي نظام مكتسب متجانس إنها نظام من العلامات قوامه اتحاد المعنى بالمبنى[5]، يتضح لنا أن "دي سوسير" يميز بين نوعين من اللغة، بحيث يعتبر الأولى لغة فطرية طبيعية عن الإنسان، في حين أن اللغة الثانية مكتسبة خاضعة لما يسمى النظام، وهي النقطة الأساسية التي دار حولها الدرس اللساني، حينما قدم "دي سوسير"

[1]-فرديناند دي سوسير، المرجع السابق، ص:27.

[2]-المرجع نفسه، ص:32.

[3]-ينظر: المرجع نفسه، ص:33.

[4]-أنظر: محمد حسن عبد العزيز، المرجع السابق ،ص:25.

[5]-محمد محمد يونس، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص:26.

أو تصور في دراسة اللغة و عدها نظاما و ذلك في قوله: " تشكل اللغة نظاما"[1]، وقوله: "اللغة نظام من الإشارات جوهره الوحيد الربط بين المعاني و الصور الصوتية، وكلا طرفي الإشارة سايكولوجي"[2].

و هذا ما يوضح مبدأ انتظامية اللغة عند دي سوسير حينما رأى أن اللغة نظام أساسه الوحيد الربط بين مفهوم العلامة اللغوية (الدال و المدلول) من خلال المنهج التزامني الذي رأى أنه المنهج المناسب لدراسة اللغة، و في موضع آخر يقول دي سوسير: "اللغة ظاهرة إجتماعية"[3] ومن هنا تعد اللغة ظاهرة إجتماعية عكس اللسان فهو فردي.

ومن هنا نستخلص أن محور الدراسات اللسانية الحديثة أساسه الوحيد هو "اللغة"، والجديد الذي أضافه دي سوسير في تحديده لمفهوم اللغة هو عنصر النظام، الذي استطاع دي سوسير أن يؤسس به ما أصبح يسمى "اللسانيات البنيوية".

2– مفهوم العلامة اللسانية Signeling (ثنائية الدال و المدلول):

تظهر فكرة انتظام اللغة عند دي سوسير في ثنائية الدال و المدلول حيث يرى أن العلامة اللسانية كيان نفسي ذو وجهين، وهما: التصورconcept، و يضع له دي سوسير مصطلح الدال"Signifiant"، و الصورة السمعية "Imageacoutique"، و يضع لها مصطلح المدلول "Signifie"، وهو بذلك يرى أن باتحاد هذين الوجهين تنشأ العلامة اللسانية[4]، إذن فالعلامة في نظر دي سوسير تجمع بين الصورة السمعية و هي الدال و التصور الذهني أي المدلول، ومن هنا تشكل لنا "العلامة اللسانية بنية اللغة الصورية (الشكلية)، والتي ينظر لها دي سوسير على أنها مخزون كبير من التصورات الذهنية و الصور السمعية، حيث لا يصبح الصوت في هيئة المادية جزءا من العلامة بل مكون من مكونات الكلام و جزء خارج عن اللغة و لا يكون الأداة المنفذة لنظام اللغة"[5].

---

[1]–أنظر: فيرديناند دي سوسير، المرجع السابق،ص:33.

[2]– المرجع نفسه، ص:33.

[3]–المرجع نفسه، ص:34.

[4]–أنظر: طيب دبة، المرجع السابق، ص:77.

[5]–الطيب دبه، المرجع السابق، ص:78.

يتضح لنا أن دي سوسير ينطلق من الموضوع الجوهري للدراسة اللسانية و هو اللغة بوصفها نظاما من القواعد و القوانين الصورية و بذلك فهو يراعي في دراسته للغة الجانب النفسي الذهني و يهمل العنصر المادي (الصوت).

تتميز العلامة اللغوية عند دي سوسير بصفتان جوهريتان و هما الطبيعة الإعتباطية والصفة الخطية[1].

1– مبدأ الاعتباطية "العلامة": Arbitrairedysigne: أي أن العلاقة التي تربط الدال بالمدلول غير مبررة من الناحية المنطقية، فلا يوجد ما يبرر إرتباط الدال و المدلول، و يضرب دي سوسير مثالا لذلك: فكرة(الأخت) التي لا تترتبط بأية علاقة داخلية بتعاقب الأصوات (s-o-r) التي تقوم مقام الدال في اللغة الفرنسية، فهذه الفكرة يمكن التعبير عنها بإستخدام أي تعاقب صوتي آخر[2].

و الدليل على ذلك اختلاف اللغات و بالتالي اختلاف الدوال، ففي الإنجليزية نجد (s–i-s-i-r) هي التي تدل على فكرة (الأخت) و في اللغة العربية يدل التعاقب الصوتي(أ–خ–ت) على هذه الفكرة[3] وهذه الأصوات ليست لها دلالة في حد ذاتها ما لم تكن موجودة داخلها تركيبها فهي تدرس ضمن محور الإستبدال، و هكذا فلو أن علاقة الدال بالمدلول مبررة لأهتدي كافة الناس إلى الألفاظ نفسها و لتوحدت اللغات لديهم، و الإعتباطية عند "دي سوسير" خاصية لكل العلامات لسانية أو غير لسانية، لكن هذا لا يعني أن أمر إختيار الدال خاضع لحرية المتكلم كليا، بل يعني أن هذا الدال لا تربطه أي صلة طبيعية بالمدلول[4].

فالعلاقة إذن بين الدال و المدلول ضرورية و غير معللة في الآن نفسه، فهي ضرورية من الناحية الإجتماعية وغير مبررة من الناحية المنطقية[5] و إذا سلم بهذا القول كما عبر عنه دي سوسير، فإن هذه الحقيقة العلمية تثبت أن العلاقة بينهما غير معللة، و لكنها خاضعة إلى ما

---

[1]–فرديناند دي سوسير، المرجع السابق، ص:86.

[2]–المرجع نفسه، ص:87.

[3]–أنظر: طيب دبة، المرجع السابق، ص:79.

[4]–أنظر: فرديناند دي سوسير، المرجع السابق، ص:88.

[5]–فرديناند دي سوسير، المرجع السابق، ص:81.

يفرضه النظام اللغوي، الذي يعتبر الكلمات أو العلامات اللسانية وحدات دالة في إطار التركيب[1].

مما يمكن فهمه هو أن العلاقة بين الدال و المدلول (العلامة اللسانية)، في معتقد دي سوسير علاقة غير مبررة أي أن "العلامات اللسانية" ليس لها أي دلالة وهي منعزلة عن تركيبها أي خارج نظامها اللغوي، ومن ذلك اعتبر دي سوسير أن "الدراسة اللسانية يضبطها النظام الذي يعمل على وضع علاقات دلالية بين الدال و مدلولاتها حيث تنبأ بظهور علم آخر يوطد العلاقة بينهما وهو علم السيميولوجيا الذي يدرس الرموز و الإشارات[2].

و اعتبر دي سوسير أن العلامة اللسانية (الدال و المدلول) أهم عناصر النظام اللساني،والتي إعتبرها وحدات اللغة، ومن أبرز تحديداته الدقيقة المتوخية تعريف اللغة من خلال ربطها بمفهوم النظام تلك العبارة المتكررة في محاضراته، والتي من خلالها يبين أن العلامات اللسانية هي عناصر النظام اللغوي و مكوناته التي ينهض بها، ومن ذلك يقول: "إنها نظام من العلامات الإعتباطية[3]، و هنا يتجلى لنا مفهوم النظام من وراء العلامة اللسانية (الدال و المدلول) التي هي في الأساس المكون و العنصر المهم الذي يقوم عليه نظام اللغة.

2– مبدأ الخطية للدال: الدال ذو طبيعة سمعية و لا يجري إلا في الزمن، و لذلك فهو يستعير هاتين الخاصيتين من الزمن، فهو عبارة عن امتداد، و الامتداد القابل لأن يقاس في بعد واحد، الخط، وهذا المبدأ أساسي و نتائجه لا حصر لها، و تساوي أهمية المبدأ الأول لأن كل ميكانيزم (أو آلية) اللسان تابع لهذا المبدأ و الدوال السمعية لا تمتلك سوى خط الزمن على عكس الدوال المرئية و تظهر عناصرها الواحد تلو الآخر، فهي تشكل إذن سلسلة[4].

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن تصور دي سوسير" للعلامة اللغوية هو تصور لساني محض حيث اعتبر العلامة وحدة ثنائية المبنى لا يمكن فصل بين أحد أطرفها، هذين الطرفين هما (الدال و المدلول) التي تجمع بينهما علاقة إعتباطية.

---

[1]–ينظر: سليمان بن سمعون، المرجع السابق، ص:40.

[2]–ينظر: المرجع نفسه، ص:41.

[3]–كتاب جماعي ضمن أعمال المؤتمر الدولي، دي سوسير بعد مائة عام من الغياب،ص:271.

[4]–حنون مبارك، مدخل إلى لسانيات دي سوسير، دار البيضاء، المغرب، دط، 1987، ص:53.

العلامة و القيمة:sign et valeur :مفهوم النظام système:

يقول دي سوسير "تعمل الآلية اللغوية بمجملها وفق لما تحويه من تشابهات واختلافات"[1] و يضرب لذلك مثالا يفرق فيه بين مجموعة من الكلمات وهي: "pomme" (التفاح)، و"paume"(راحة اليد)، وبين "goutte" (قطرة)، و "je goute" (أتذوق)، وبين"fuir" (هرب)، و"fouir" (حفر)[2]، يرى دي سوسير أن هذه الكلمات و إن كانت متشابهة صوتيا، فهي تختلف من حيث الدلالة، و بهذا الإختلاف تستمد العلامة قيمتها.

و من هنا وضح دي سوسير "الوظيفة الإيجابية لمبدأ الإختلاف[3].

يتضح لنا أن العلامة اللسانية لا يمكن أن تدل أو لا يمكن أن تصبح لها قيمة إلا إذا تشابهت مع بعضها البعض ومع هذا التشابه لابد لا من اختلاف للأن العلامة لا تدل متشابهة إلا إذا اختلافات، وبذلك فإن مبدأ الإختلاف يحوي ضمنيا مبدأ التشابه، و في موضع آخر يقول "إن ضروب العلاقات و أنواع الفروق المميزة بين الحدود و الألفاظ اللسانية تقع في مجالين متمايزين حيث يكون كل واحد من تلك الضروب والأنواع مولدا و محدثا لأنواع معينة من القيم، و إن تقابل هذين الصنفين من العلاقات والفروق المميزة يجعلنا ندرك طبيعة كل واحد منهما فهما يطابقان صورتين من صور نشاطنا الذهني[4].

و يمكننا أن نستنتج أن الذي يهم دي سوسير من أمر العلامة و قيمتها هو تلك العلاقات القائمة بينها و بين العلامات الأخرى مستندة إلى مبادئ: التشابه و الاختلاف والتقابل و التمايز[5]، و يضرب دي سوسير أمثلة لتوضيح مفهوم القيمة، و منها أن كلمة "mouton" (خروف) في الفرنسية الحديثة تقابلها من حيث الدلالة الإنجليزية "shccp"و لكن ليس لها قيمة نفسها، نظر لأسباب عديدة خاصة لأن الإنجليزية تستعمل كلمة"mutton" وليس"shccp" عند الحديث عن قطعة لحم مهيأة للأكل على المائدة، ومن هنا يتضح لنا

[1]-فرديناند دي سوسير، المرجع السابق، ص:175.

[2]-طيب دبة، المرجع السابق،ص:85.

[3]-ينظر: المرجع نفسه، ص:85.

[4]-سليمان بن سمعون، المرجع السابق، ص41.

[5]-ينظر: طيب دبة، المرجع السابق، ص:85.

الاختلاف ف القيمة بين الكلمتين"shccp" و "mutton" حيث أن الكلمة الأولى لها عبارة أخرى تقف إزائها في حين أن الكلمة الفرنسية ليست لها أية عبارة أخرى من هذا القبيل هذا ما جعلها تكتسب قيمة لأنها تمثل فكرة معينة "وهي الخروف"[1].

ومن هنا أقر دي سوسير في نظره للغة حينما قال: "إن اللغة لا يمكن أن تكون إلا نظاما من القيم المجردة و تكمن قيمة الكلمة في خاصيتها التي تمكنها من تمثيل فكرة معينة[2]، و لبيان أن اللغة نظام لقيم مجردة حسب دي سوسير يكفي أن تأخذ بعين الإعتبار عنصرين أساسيين يشتركان في عملها هما: "الأفكار و الأصوات"، فالقيمة لا تتحقق إلا في ضوء حسابات نسبية تقابلية لعلاقة الأفكار بالأصوات، وهذا مما أثمر لديه الوقوف على ثلاث خصائص يقوم عليها تعريف العلامة اللسانية داخل النظام وهي خاصية التحديد الصوري و خاصية الإعتباطية و خاصية التقابل[3]، أما خاصية التحديد الصوري للقيمة اللسانية هي بدون شك عنصر من عناصر الدلالة، ويبدو من الصعوبة بما كان معرفة كيف تتميز الدلالة عن القيمة في الوقت الذي تتصور فيه الدلالة خاضعة للقيمة، فالتصور يرمز إلى الدلالة، لكن من المعلوم أن ليس لهذا التصور قيمة محددة من قبل علاقاته بقيم أخرى مماثلة، و أنه بدون القيمة لاوجود للدلالة[4].

يتضح لنا أن مفهوم القيمة و الدلالة كلاهما موجود في العلامة اللسانية لكنهما يختلفان فالتصور الدلالي لا يكتسب قيمة إلا إذا كانت له قيمة معينة في علاقته بغيره من القيم المماثلة له، و أما الخاصية الاعتباطية التي تؤكد على الربط بين الدال و المدلول في العلامة اللسانية، فإنه على أساسها و بالاستناد إليها ينهض مفهوم القيمة، و منه ترتقي خاصية الإعتباطية من ناحية أهميتها، بفضل ما تقدمه لمفهوم القيمة لتصبح عمدة النظام و سنده[5] و في ذلك يقول

[1]-ينظر: أحمد مؤمن، المرجع السابق، ص:130.

[2]- المرجع نفسه، ص:130.

[3]-كتاب جماعي ضمن أعمال المؤتمر الدولي، المرجع السابق،ص:275.

[4]-ينظر: حنون مبارك، المرجع السابق، ص،ص:89.86.

[5]-ينظر: كتاب جماعي ضمن أعمال المؤتمر الدولي، المرجع السابق، ص: 276.

دي سوسير: "تجعلنا إعتباطية العلامة بدورها أكثر فهما لماذا يستطيع الحدث الإجتماعي وحده أن يكون نظاما لسانيا"[1].

ومن هنا اعتبر دي سوسير أن مفهوم القيمة يتجلى داخل العلامة اللسانية مما يكسبها أهمية، و جعل من العلامة و القيمة الأساس الذي يقوم عليه النظام اللساني، و أما خاصية التقابل فيعود الفضل إليه في تنظيم العلامات اللسانية مما يثمر فيها قيما و وظائف ويعد مفهوم التقابل أهم مفاهيم النظام في لسانيات سوسير.

3– المنهج التزامني M.Synchronique و المنهج الزمنيM.Diachronique

انطلق دي سوسير في تأسيسه للسانيات من منهج جديد عرف "بمنهج الدراسة الوصفية" descriptive التزامنية، وجاء هذا المنهج في مقابل المنهج الزمني الذي اعتمدت عليه الدراسات التاريخية، بحيث أعاب دي سوسير الدراسة الزمنية و وجد أنها تحرم الباحث اللساني من وصف النظام اللغوي، بينما يرى أن الدراسة التزامنية تمكن الباحث من وصف النظام اللغوي، و ملاحظة العلاقات القائمة بين عناصره و استنباط القوانين البيانية المتحكمة فيها[2]،و يضرب مثالا لذلك في حديثه عن لعبة الشطرنج حيث يقول:" أن أية حالة من حالات ترتيب قطع الشطرنج تشبه كثيرا حالة من حالات اللغة، فقيم القطع تعتمد على موقعها على لوحة الشطرنج، كما أن كل عنصر من العناصر اللغوية يستمد قيمته من تقابله مع العناصر الأخرى"[3].

رأى دي سوسير أن ترتيب قطع الشطرنج تقابل حالة اللغة تماما، حيث لا تحمل العلامة أي معنى مستقلا بذاتها ما لم تكن داخل نظام معين، بل تستمد قيمتها و معناها من النظام ككل، ومن الوحدات و العلامات الأخرى المقابلة لها في نفس السياق الذي ترد فيه[4]، و يتم التركيز في الدراسة التزامنية على الواقع الحالي للغة الذي يمكننا من النظر إلى نظامها ذلك على

[1]–فرديناند دي سوسير، المرجع السابق، ص:85.

[2]–ينظر: طيب دبة، المرجع السابق،ص،ص:66.67

[3]– المرجع السابق، ص:106.

[4]– ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية محاولة تأصلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2005م، ص:19.

مستوى المحور الأفقي "التركيبي" و هذا ما لا يمكننا ملاحظته في الدراسة الزمنية[1]،و يمثل دي سوسير لذلك في دراسة ساق نبتة في مقطعه العرضي و دراسته في المقطع الطولي، وما خلص إليه أن المقطع الطولي يرينا الأنسجة التي تولف النبات، و المقطع المستعرض يرينا الانسجة على سطح معين، ولكن المقطع الثاني يختلف عن الأول لأنه يبين بعض العلاقات الأنسجة التي لا تستطيع أن نفهمها إلا إذا نظرنا إلى المستوى الطولي[2].

أخذ دي سوسير الجانب التزامني من الثنائية و ألغى المنهج الزمني و أعاب عجزه في فهمه للغة و رأى أن منطلقه صحيح لكن هذه خطأ، لذلك اعتبر المنهج التزامني وسيلة لوصف نظام اللغة و فهمها ومن خلال ذلك يتبين لنا أن تحديد النظام اللغوي يتم على مستوى المنهج التزامني هذا ما أقره دي سوسير حينما قال: "إن اللغة نظام يمكن بل ينبغي أن تدرس أجزاؤه ضمن إطار سنكروني (تزامني) موحد[3]، و لذلك ينبغي أن تسبق الدراسة التعاقبية (التاريخية) للغة، بدراسة التزامنية (آنية)، لأن النظام و النسق الثابت فهمه أكثر من التغير، فضلا عن أن التغير ناشئ من ذلك النظام و النسق، مما يفرض على الدارس معرفة حالة أولاً[4].

ومن هنا نرى دي سوسير يخالف من سبقه في دراسة اللغة، و خلص إلى أن نظام اللغة يتجلى في الدراسة آنية للغة أي في واقعها الراهن و في زمان و مكان محدد.

4- العلاقات التركيبية و الاستبدالية:

إن معرفة "دي سوسير" حقيقة ذلك الفارق الحاسم بين العلامة اللغوية في حالتها السلبية المنعزلة، و بينها وهي وحدة داخل نظام، أدى به إلى إدراك وجود محورين أساسين يقوم عليهما مبدأ العلاقة بين العلامات وهما محور العلاقات التركيبية R.Syntgmatique والعلاقات الإستبدالية R.Paradigmatiques[5]، أما "العلاقات التركيبية": فهي العلاقات الأفقية بين

[1]-ينظر: طيب دبة، المرجع السابق،ص:69.

[2]-ينظر: فرديناند دي سوسير، المرجع السابق،ص:105.

[3]- المرجع نفسه، ص:105.

[4]-خليفة بوجادي، المرجع السابق، ص:19.

[5]-ينظر: طيب دبة، المرجع السابق، ص:89.

الوحدات اللغوية ضمن السلسلة الكلامية الواحدة[1]، و ينظر إليها دي سوسير: "من حيث هي مبني على صدفة الخطية لأنها ترتبط بعضها ببعض، و هذه الحقيقة تحول دون النطق بعنصرين في آن واحد، و تكون العناصر مرتبة بصورة متعاقبة في سلسلة الكلامية"[2]، و تتمثل هذه العلاقات في أن عبارة ما في تركيب "لا تكتسب قيمتها إلا بتقابلها مع الوحدات التي تسبقها أو تليها أو معها جميعا"[3]، و لا يمكن توضيح ذلك من خلال المثال الذي أورده "دي سوسير" ففي جملة "إذا كان الطقس جميلا خرجنا"[4] وجود علاقة تركيبية بين الوحدات، مما منح كل وحدة من هذه الوحدات قيمتها و هي داخل النظام، ذلك لما يسبقها و يلحقها من وحدات، فلو أخذنا كلمة "الطقس" وعزلناها عن تركيب الذي وردت فيه تصبح وحدة غير دالة لأنها تنتمي إلى مجموعة الوحدات الأخرى التي تكسبها قيمتها داخل النظام.

ومن ذلك يرى دي سوسير "أن مفهوم العلاقات التركيبية يتحدد في ما يعود إلى قوانين النظام و علاقاته، و عليه فإن ما يمنح تركيب مكانة في اللغة هو انتمائه إلى مجموعة من الوحدات"[5] و عليه فإن نظام الوحدات يستمد قيمته من خلال علاقته بغيره ولا يخرج ذلك عن إطار التركيب حيث حدد دي سوسير ذلك حينما ربط مفهوم العلاقات التركيبية بمعرفة النظام.

أما العلاقات الاستبدالية فهي العلاقات التي تقع بين الوحدات اللغوية التي يمكن أن تحل محل بعضها البعض في سياق واحد و بعبارة أخرى فإنها تعكس علاقات موجودة بين علامة أخرى غير موجودة في الجملة أصلا بل موجودة في أذهاننا طبعا[6]، ومما لا شك فيه أن هناك علاقة وطيدة بين الدلالة اللغوية للكلمة أو العلامة اللسانية وبين المحورين الإستبدالي و التركيبي، و عليه هناك علاقتين تؤخذان معا بعين الإعتبار في الدلالة اللغوية، تعرف الأولى بالعلاقة الإستبدالية لأن فيها يتم إختيار عنصر واحد من عناصر بديلة، و تعرف الثانية بالعلاقات

[1]-أحمد مؤمن، المرجع السابق، ص:130.

[2]-ينظر: فرديناند دي سوسير، المرجع السابق، ص:142.

[3]-المرجع السابق، ص:130 .

[4]-فرديناند دي سوسير، المرجع السابق، ص:142.

[5]- ينظر: طيب دبة، المرجع السابق، ص:91.

[6]- ينظر: أحمد مؤمن، المرجع السابق، ص:131.

التركيبية التي يتم تأليف عنصر مع آخر لإفادة معنى[1] ومن ذلك فإن معرفة دلالة الوحدات لا يخرج عن إطار المحورين الإستبدالي و الذي يمثل محور الكلمات و التركيبي ويمثل محور الجمل،وتبرز وظيفة هذين المحورين في أنهما يمثلان الجانب الإجرائي الذي يعمل فيه النظام ويتحكم عن طريقه في حركية العلامات و يجسد آلية الإختلاف و التقابل فيما بينها[2]. يمكن القول أن ما ميز الدراسة اللسانية السوسرية هي هذه الثنائيات التي تميز بها دي سوسير و هي لا تخرج عما سماه نظام اللغة.

[1]- ينظر: بن سمعون سليمان، المرجع السابق، ص:42.

[2]- طيب دبة، المرجع السابق،ص:89.

المبحث الثاني

الموازنة بين الجرجاني

و دي سوسير

- ✓ المطلب الأول: مقاربة لسانية بين الجرجاني و دي سوسير في اللغة و الكلام
- ✓ المطلب الثاني: اللفظ و المعنى في مقابل الدال و المدلول
- ✓ المطب الثالث: نظم الحروف و الكلم في مقابل العلاقات الاستبدالية و التركيبية

المبحث الثاني : الموازنة بين الجرجاني ودي سوسير.

على الرغم من الفارق الزمني الذي يفصل بين "**عبد القاهر الجرجاني و فرديناند دي سوسير**"، و انطلاقا مما ارتكزت عليه الدراسة البنيوية من مبادى و مفاهيم في دراسة اللغة، والتي تمثلت في أهم الثنائيات التي طرحها دي سوسير وهي **اللغة و الكلام، و الدال والمدلول** "العلامة اللغوية "، و **التزامنية و الزمنية**، و **العلاقات الاستبدالية** و **العلاقات التركيبية**، يمكننا التماس بعض جوانب الدرس اللساني البنيوي عند عبد القاهر الجرجاني،ويظهر ذلك في حديثه عن النظم من خلال كتابه "دلائل الإعجاز" الأمر الذي يجعلنا نقف عند أهم نقاط الالتقاء بين الجرجاني و دي سوسير و الكشف عن أوجه المقاربة بينهما.

المطلب الأول : مقاربة بين الجرجاني و دي سوسير في اللغة و الكلام

إن أولى المبادئ التي قامت عليها دراسة اللسانيات عند "فرديناند دي سوسير" هو حد الألسنية التي تتوخى الوصف و التاريخ ما يمكنها أن تبلغة من اللغات، ومن حدها أيضا البحث القوى التي تعمل باستمرار في لغات العالم كلها، و أن نستخلص من وراء ذلك القوانين العامة التي يمكن أن تلتقي فيه اللغات، وعلى هذا الأساس تكون ظاهرة اللسان أواللغة أداة تبليغ و تلك وظيفته الأصلية، و يعني ذلك أن اللغة عند" دي سوسير " عبارة عن "نظام و بنية "[1]، وعلى حد قول "دي سوسير" النظام اللساني هو عبارة عن: "مجموعة من الوحدات تتحدد كل منها في ضوء العلاقات التي تتبادلها مع بقية الوحدات و مع مجموع النظام"[2]، و أما البنية فهي: "مجموع العلاقات التي تربط بين العناصر المؤلفة للبنية نفسها "[3].

ومن هنا يتضح لنا أن دي "سوسير" ينظر إلى اللغة باعتبارها نظام أي أنها مجموعة من الوحدات اللغوية أو مجموعة الكلمات المنسجمة فيما بينها، و التي لا تكون لها قيمة في حد ذاتها إلا إذا تحددت داخل بنية واحدة، أي داخل العلاقات التي تربطها بباقي الوحدات والتي

[1]-ينظر: السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، القاهرة، ط1،2008م، ص،ص: 20،21.

[2]-الطيب دبة، المرجع السابق، ص:87.

[3]-عبد العزيز حليلي، اللسانيات العامة واللسانيات العربية، تعاريف . الأصوات، دار البيضاء، ط1، 1991م،ص:10.

تركب بعضها ببعض، مما يشكل لنا نظام تُحقق من خلاله اللغة وظيفتا التواصلية، و هذا ما أكده دي سوسير حينما قال: "إن اللغة هي مجموعة العادات اللغوية التي تمكن المتكلم من الفهم والإفهام"[1].

و يفهم من خلال قوله أن اللغة هي كلّ مُنظم لا يمكن دراسة هذا الكُل إلا و هو يعمل كمجموعة، فلا يمكن أن ندرس الوحدات اللغوية أو العناصر و هي منعزلة عن بعضها البعض لأنها لا تشكل لنا أية دلالة لوحدها و هي منفردة عن بقية العناصر الأخرى، وبهذا يتضح تأكيده بأن اللغة ظاهر اجتماعية غرضها إعلام السامع خبرا يجهله[2]، حيث يقول دي سوسير: "أن اللغة نظام اجتماعي"[3].

و باعتباره للغة على أنها مؤسسة اجتماعية فهي أداة التبليغ و التواصل بين أفراد المجتمع ومن هنا انطلاقا" فرديناند دي سوسير" في توضيح الفرق بين ثنائية **"اللغة و الكلام"**، فقد اعتبر اللغة هي الجانب الأساسي و الجانب الاجتماعي محض مستقل عن الفرد و هذا الجانب سايكولوجي أي "ترامني" في جميع صفاته، في حين نظر إلى الكلام على أنه الجانب الفرعي (الثانوي) واعتبره الجزء الفردي من اللسان، ومما لا شك فيه أن اللغة والكلام يرتبطان ببعضهما البعض ارتباط وثيق، بحيث يعتمد أحدهما على الأخر، فاللغة ضرورة إذا أريد للكلام أن يكون مفهومه يحقق الغاية المتوخاة منه، ثم إن الكلام ضرورة لتثبيت أركان اللغة[4].

لقد ميز" دي سوسير" بين ما هو ملكة بشرية و يقصد بذلك (اللغة)،وبين ما هو إنجازي فردي ملموس بوعي و اختيار و يقصد (الكلام)، وهو بذلك يميز بين ما هو اجتماعي و فردي و بين ما هو جوهري و ثانوي، و برغم من الفارق الذي حدده دي سوسير بين اللغة و الكلام من جهة فهو لا ينفي الصلة التي تربطهما من جهة أخرى، فهو يؤكد على ضرورة العلاقة القائمة بينهما، ومن هنا يتضح لنا أن كل من (اللغة و الكلام) تجمع بينهما علاقة

[1]-فرديناند دي سوسير، المرجع السابق، ص:123.

[2]-السعيد شنوقة، المرجع السابق، ص:21.

[3]- المرجع السابق، ص:34.

[4]-ينظر: المرجع نفسه، ص:37.

ترابط إذ يفترض أحدهما الأخر، فاللغة ضرورية كي يصبح الكلام ملموس وتترتب عليه جميع نتائجه، كما أن الكلام ضروري كي تقوم اللغة "[1].

وهذا ما يقره دي سوسير في قوله:" اللغة و الكلام يعتمد أحدهما على الأخر مع أن اللغة هي أداة الكلام و حصيلته ولكن على الرغم من اعتماد أحدهما على الأخر هذا لا يمنع من كونهما شيئين متميزين تماما"[2]، بعدما أقر دي سوسير التوافق الحاصل بين اللغة والكلام وأن كلاهما يحتاج إلى الثاني، إلا أنه من حيث الدراسة ذهب إلى اعتبارهما شيئين مختلفين، حيث نعلم أن موضع الدراسة الوحيد الذي اتخذه دي سوسير هو دراسة اللغة في ذاتها و من أجل ذاتها.

لم يكن هذا التصور غائباً في دراسة الظاهرة اللغوية في التراث العربي القديم، فالمتتبع لأصول "نظرية النظم" عند البلاغي "عبد القاهر الجرجاني" يدرك أنها مبنية على أسس لغوية قوامها التمييز بين "اللغة و الكلام"، حيث يمثل الكلام محور أراء عبد القاهر لأن البلاغة تعتني في الأصل بما ينجزه المتكلم بصفة فردية بالتصرف في استعمال عناصر النظام اللغوي و التأليف بينها بكيفية تحقق أغراضه و مقاصده فإن مقتضيات الاحتجاج و التعليل حتمت بدورها الحديث عن اللغة و اتخاذها أساسا منهجيا"[3]، وهذا ما يؤكد أن الحديث عن اللغة و الكلام لم يكن غائب عن ذهن "عبد القاهر الجرجاني".

و رؤيته كانت واضحة في التمييز بينهما، و هو بذلك يتفق مع "فرديناند دي سوسير" في اعتبار الكلام هو الجانب الفردي و اللغة هي الجانب الاجتماعي، و يشير عبد القاهر في قوله: " العلم بجميع ذلك لا يعدو أن يكون علما باللغة، و بأنفس الكلم المفردة و بما طريقة الحفظ دون ما يستعان عليه بالنظر، و يوصل إليه بإعمال الفكر"[4]، و في موضع أخر يقول: " أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم

---

[1]-ينظر: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر،ط1،1419هـ. 1998م،ص :23.

[2]-ينظر: فرديناند دي سوسير، المرجع السابق، ص:38.

[3]-ينظر: حمادي صمود، المرجع السابق، ص:501.

[4]-حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل، عمان، ط1، 2006م ص:156.

بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد، والدليل على ذلك أنا إن زعمنا أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة إنما وضعت ليعرف بها معانيها في أنفسها لأدى ذلك إلى ما لا شك عاقل في استحالته، و هو أن يكونوا قد و ضعوا للأجناس الأسماء التي وضعوها لها لنعرفها بها[1].

يؤكد عبد القاهر الجرجاني أن الألفاظ المفردة لا تدل على معنى محدد وهي منعزلة عن سياقها، فهي تكتسب دلالتها من خلاله، فاللفظة لا قيمة لها وهي مفردة و إنما تأخذ قيمتها بضمها مع بعضها البعض في السياق أي داخل تركيب واحد، "ولا بد أن تكون الفائدة الناتجة عن الضم بين الألفاظ مباينة لما تدل عليه وحدات اللغة في أصل الوضع، و إلا سقطت الحاجة إلى الكلام لأنه ليس هناك شيء موجود في اللغة لا يعرفه السامع إذْ من شروط التّواصل أن يشترك في العلم باللغة و كيفية مواضعتها"[2]،حيث يقول الجرجاني: "و معلوم أنّك أيها المتكلم لست تقصد أن تعلم السّامع معاني الكلم المفردة (لكلمات) التي تُكلمه بها، فلا تقول له خرج زيد لتعلمه معنى خرج في اللغة و معنى زيد، كيف و محال أن تُكلمه بألفاظ لا يعرف هو معانيها كما تعرف؟"[3].

يرى عبد القاهر أن كل من المتكلم و السامع لهما نفس العلم باللغة و كيف توضع وبذلك يتحقق التواصل بينهما، فالمتكلم حينما قال خرج زيد لم يقصد من وراء إخباره أن يعلم السامع معنى "خرج" أو معنى "زيد" في اللغة لأن السامع على دراية بهذه الكلمات في اللغة فمن الاستحالة إخباره بألفاظ لا يدرك معانيها كما يدركها المتكلم، فكلهما يجب أن يكون لديهما نفس العلم باللغة، "فالغاية من الكلام تتجاوز ما ضمنته اللغة من معان بالوضع والاصطلاح إلى معان جديدة تحدث وقت تؤلف و حداتها ضربا خاصا من التأليف و يعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والتّرتيب، و يقصد بالمعاني الأحكام التي يولدها المتكلم بتعليق وحدات اللغة و الربط بينها بعلاقات، مما ينشئ ما لا أصل له في اللغة، فاللغة توفر

[1]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:332.

[2]-ينظر: حمادي صمود، المرجع السابق، ص:503.

[3]- المرجع السابق،ص:264.

ضروب من الكلمات المنفردة لمستعملها أي مستعمل اللغة، لكنها مع ذلك لا تحدد له طرق التعليق فيما بينها"[1].

يفهم مما سبق ذكره أن اللغة تنتج لنا مجموعة من الوحدات أو الكلمات منفردة لا تؤدي معان إلا إذا قام المتكلم بتعليق تلك الوحدات مع بعضها البعض لتشكل لنا مجموعة العلاقات التي كانت في أصل اللغة كلمات منفردة و المتكلم هو من يحدد معانيها وذلك من خلال تعليق بعضها مع بعض و هذا ما يشكل لنا ما يسمى "النظم" و في ذلك يقول عبد القاهر: "ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالتها و تلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[2].

ومن هنا يبرز عبد القاهر الفارق الكبير بين ثنائية "اللغة و الكلام" الذي يتمثل في أن اللغة بحكم قيامها على التواضع و الاتفاق و الاعتباط، وهذا ما لا يمكن في" الكلام" لأنه محكوم في الأصل بزمام العقل و ترتب المعاني في النفس و لا يصدر من المتكلم إلا عن قصد وعلم سابق بالمباني الملاءمة لما يريد أن يصوغ من المعاني إذْ لا يكون ترتيب في شيء حتي يكون هناك قصد إلى صورة وضعت"[3].

يميز عبد القاهر بين اللغة و الكلام باعتباره للغة على أنها مواضعة و اصطلاح بين الناس أي بين الجماعة في حين يرى الجانب الثاني من ثنائية و هو الكلام أنه المحكوم الفردي عكس اللغة، ومن جهة أخرى نجد الجرجاني في التفريق بين اللغة و الكلام يقر بأن اللغة ظاهرة اجتماعية وظيفتها التبليغ و التواصل وذلك من خلال "إبرازه الصلات القائمة بين الكلمات التي تولف الجملة، و يهتم بالعلاقات القائمة بصورة متبادلة بين وحدات الكلام، و هذا ما أكده في النظم جمالا، ويرى أن اللغة وضعت من أجل التواصل فهي ظاهرة اجتماعية لا فردية[4].

---

[1]-ينظر :حمادي صمود، المرجع السابق ،ص،ص:503،504.

[2]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:81.

[3]-ينظر: المرجع السابق، ص:507.

[4]-ينظر: عيسى قيزة، ملاحظات تركيبية على قواعد النحاة، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، دط،2017م،ص:10.

يرى الجرجاني أن العلاقات القائمة بين الكلمات تولد لنا جمل تتبادل وحداتها فيما بينها و هذا ما يشكل لنا ما يسمى نظم مجملا، ويؤكد ذلك في قوله : " اعلم أن معاني الكلام لا تتصور إلا فيما بين شيئين، و الأصل و الأول هو الخبر، و إذا أحكمت هذا العلم بهذا المعنى فيما عرفته في الجميع، و من الثابت في العقول و القائم في النفوس أنه لا يكون خبر حتي يكون مخبر به ومخبر عنه، لأنه ينقسم إلى إثبات و نفي، والإثبات يقتضي مثبتاً و مثبتاً له، والنفي يقتضي منفيا و منفياً عنه، فلو حاولت أن تتصور إثبات معنى أو نفيه من دون أن يكون هناك مثبت له و منفي عنه، حاولت ما لا يصح في عقل، و لا يقع في وهم، ومن أجل ذلك امتنع أن يكون لك قصد إلى فعل من غير أن تريد إسناده إلى شيء مظهر أو مقدر مضمر، وكان لفظك به إذا أنت لم ترد ذلك و صوت تصونه سواء"[1].

ومن خلال ذلك نفهم أن عبد القاهر الجرجاني ناقش مفردات اللغة انطلاقا من القول بأنها مواضعة، ثم عاد ليناقش مفردات اللغة انطلاقا من أن اللغة إلهام، وسواء قلنا أن أصل اللغة إلهام أو مواضعة فإن اللغة هي النظام الربط بين الكلمات بعضها ببعض و يقوم ذلك النظام اللغوي على ربط الكلمات بعضها ببعض، وفق لمقتضيات دلالاتها الفعلية، و بفعل ذلك النظام تتمكن اللغة من القيام بوظيفتها الأساسية كوسيلة اتصال بين الناس ببعضهم.

وهذا يعني أن النظم الذي أكد عليه عبد القاهر الجرجاني يرى أن اللغة تعمل كمجموعة لها روابط معينة و بمراعاة تلك الروابط تؤدي اللغة غايتها التواصلية[2]، رأى الجرجاني أن أصل اللغة أم مواضعة أو إلهام و اعتبارها نظام لغوي يتشكل من مجموعة كلمات مترابطة مع بعضها البعض تؤدي دلالة فعلية، مما يُمكن اللغة من تأدية وظيفتها التواصلية.

و من هنا يتبين لنا أن كل من الجرجاني و دي سوسير يتفقان في دراستهما للغة بحيث كانت لهما نفس النظرة اللغوية في وصف اللغة بأنها ظاهرة اجتماعية و نظام تؤدي من خلاله و وظيفتها ألا و هي التبليغ والتوصل، فنجد دي سوسير في وصفه للغة يقول :" اللغة نظام

[1]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق،ص:323.

[2]-ينظر: صالح بلعيد، التراكيب النحوية و سياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1994م، ص:214.

يرتكز على قوانين توازن، تؤثر على عناصره و ترتهن في كل حقبة من التاريخ بالنظام اللغوي المتزامن، ومن الطبيعي أن تؤلف مجموعة المعاني نظاماً يرتكز على قاعدة من المتميزات والمقابلات"[1].

ومن هنا يبين لنا دي سوسير أهمية العنصر اللغوي التي لا تظهر إلا من خلال وجودها داخل سياقها أي داخل تركيبها و مقابلتها مع باقي وحداتها، وفقا نظاماً يقوم على قوانين تساهم في الربط بين تلك الوحدات، وحتي يوضح دي سوسير أن اللغة عبارة عن نسق و نظام شبه النظام اللغوي بلعبة الشطرنج " فما هو خارج في الشطرنج يمكن فصله بسهولة عما هو داخلي، فإذا استخدمنا اجزاء من الشطرنج مصنوعة من العاج بدلا من الخشب فإن هذا التغيير لا أثر له في نظام الشطرنج، أما إذا قللنا من أجزاء لعبة الشطرنج أو أضفنا إليها أجزاء إضافية فإن هذا التغيير سوءا بإضافة أو بحذف سوف يكون له أثر كبير يؤدي إلى خلال في نظام اللعبة، ولذلك ينبغي على المرء أن يميز بين ما هو خارجي و بين ما هو داخلي، ويستطيع المرء في كل حالة من الحالات أن يحدد طبعة الظاهرة باستخدام هذه القاعدة، فكل شيء يحدث تغيير في النظام بأي اسلوب كان إنما هو داخلي"[2].

و من هنا يفهم أن نظام اللغة نفس نظام لعبة الشطرنج وبذلك لم ينطلق دي سوسير من فارغ في تشبه اللغة بالشطرنج لأن قواعدها الداخلية خاصة، بحيث لو استبدالنا نوع القطع الخشبية بقطع أخر مثل العاج، لما أدى ذلك بمساس النظام الداخلي للعبة، لأنه لا يهم في اللعبة نوعية القطع أهي خشبية أم هي عاج لأن دي سوسير يعتبر مادة القطع شيء خارجي لا أهمية له في لعبة الشطرنج بقدر أهمية عدد القطع التي تكون داخل اللعبة فإذا كان عدد القطع المتكونة منها اللعبة هي اثنان وثلاثون قطعة وهذا العدد من منظور دي سوسير يجعل نظام اللعبة متكامل، لكن لو أنقصنا قطعة واحدة أو زدنا قطعة أو لعبت هذه اللعبة بطريقة تخالف القوانين التي وضعت لها لأدى هذا التغير إلى إخلال نظام اللعبة و قواعدها و فسد تركيبها الداخلي، أما قيمة العلاقة بين العناصر اللغوية فيما بينها، فإنها تشبه قيمة قطع

[1]-حليمة أحمد عمايرة، المرجع السابق، ص:162.

[2]-ينظر: فرديناند دي سوسير، المرجع السابق، ص:41.

الشطرنج أيضا على رقعة اللعبة، حيث تستمد كل قطعها قيمتها من حيث الموقع الذي تأخذه كل قطعة الرقعة مقابل المواقع التي تأخذها القطع الأخرى"[1].

و لو أننا توقفنا قليل عند تشبيه "دي سوسير" للغة بلعبة الشطرنج، "لوجدنا أن هذا التشبيه يؤكد أولا أن اللغة "نظام أو نسق" له قواعده الخاصة، و أن مكونات هذا النسق أوالنظام مترابطة فيما بينها ككل متماسك، فضلا عن أنه ثانيا يعطي الأولوية و الصدارة للغويات الداخلية على اللغويات الخارجية، على اعتبار أن المهم هو التنظيم الباطني للغة لا تاريخها أو نشأتها أو مراحل تطورها"[2].

لقد وضح دي سوسير مبدأ انتظامية اللغة وذلك من وراء تشبيه الدقيق الذي أعطاه للغة بوصف نظامها بنظام الي تقوم عليه لعبة الشطرنج، والذي أراد من خلاله أن يؤكد أن نظام اللغة يجري وفق القواعد التي تحتكم فيه و تكون دائما داخل اللغة، و هذا هو الأمر المهم الذي بنى عليه دي سوسير دراسته البنيوية الوصفية، التي تنظر إلى العلاقات الداخلية و تنفي كل ما هو خارج اللغة، و قد صدر عبد القاهر الجرجاني عن مثل هذا المفهوم الذي أقره دي سوسير للغة، فكانت نظرة الجرجاني مشابهة فهو ينظر إلى اللغة على أنها نظام وهذا إذا دل إنما يدل عل أسبقية الجرجاني لتناوله موضوع اللغة حينما أقر ما أقره العالم اللساني، فقد اعتبار الجرجاني اللغة في قوله: "أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ بل مجموعة من العلاقات"[3].

وعلى هذا الأساس العام بنى عبد القاهر الجرجاني تفكيره اللغوي الفني حينما قال: "ان الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة و لا من حيث هي كلم مفردة و إنما تثبت لها الفضيلة و خلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ"[4].

---

[1]-ينظر :حليمة أحمد عمايرة، المرجع السابق،162.

[2]-ينظر :زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، د ط، 3740هـ . 1990م، ص:47.

[3]ينظر: محمد مندور، في الميزان الجديد، مؤسسات بن عبد الله، تونس، ط1، 1988م،ص:201.

[4]عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:21.

يرى الجرجاني أن الألفاظ و هي مجردة أي منفردة خارج تركيبها لا تحمل أي قيمة في ذاتها لذلك لا يمكننا تفضيل لفظة على لفظة أخر أو استحسان لفظة على لفظة وهي خارج سياقها التركيبي الذي ترد فيه، و إنما تأخذ الألفاظ قيمتها و حسنها و تثبت لها الفضيلة والمزية بمجاورتها مع ما يناسبها في المعنى الألفاظ التي تليها و في المواقع التي تستحقها، ومن هنا يقرر الجرجاني أمرين: الأول: أن الألفاظ تأخذ قيمتها بضمها إلى بعضها البعض، أما الأمر الثاني فهو: إقراره بأن الألفاظ تتفاضل فيما بينها داخل التركيب، في حين أن دي سوسير يكتفي بوضع اللفظة في مكانها المناسب دون أن يفضل بين لفظة و لفظة أخر في التركيب.

يوضح الجرجاني ما ذهب إليه من خلال المثال التالي: و هو قول عز و جل: {وَ قِيلَ يَأَرْضُ أُبْلَعِي مَاءَكِ وَ يَسَمَاءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْمَاءُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِ وَ قِيْلَ بُعْداً لِلْقَومِ الظلِمِينَ }[هود 44]، أرجع عبد القاهر جمال الآية الكريمة إلى المواضيع التالية: أن "نوديت الأرض ثم أمرت "يَا أَرْضُ أَبْلَعِي"، و أن كان النداء بـ "يَا" دون "أي" يَا أَرْضُ، يَا سَمَاءُ، ثم إضافة الماء إلى الكاف حينما قال "مَاءَكِ" و لم يقول الماء، ثم أنْ نادى الأرض و أمرها بما يخصها و ما هو من شأنها كذلك، ثم استخدم المبني للمجهول في لفظة "وَغِيضَ"، و التأكيد والتقرير في قوله: "وَ اسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِ"،و مقابلة قيل في الفاتحة مع قيل في الخاتمة"[1].

يرجع الجرجاني جمال و إعجاز الآية الكريمة إلى حسن نظمها لما حملته ألفاظها من مزية ظاهرة وفضيلة قاهرة يعود ذلك كله إلى مجاورة ألفاظها ببعضها البعض، بحيث لقيت كل لفظة حسنها و قيمتها من خلال مواقعها داخل الآية و الترابط القائم بينها، ومما يشهد كذلك على تفاضل الألفاظ فيما بينها أنك في بعض الأحيان ترى كلمة تروقك و تؤنسك و تستحسن في موضع معين، ثم من جهة أخرى ترى نفس اللفظة بعينها تثقل عليك و توحشك في موضع أخرى ومثال ذلك لفظة الأخدع في بيت الحماسة:

تَلَفَتَ نَحْوَ الْحَيْ حَتَى وَجَدْتَنِيْ وَجِعْتُ مِنْ الإصْغَاءِ لِيْتاً وَ أَخَدِعاً[2]

[1] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص:78.

[2] المرجع نفسه، ص:80.

بحيث ترى لفظة الأخدع في هذا الموضع لها الحسن و المؤنسة و هذا راجع لحسن موضعها في حين لو تأملنا لفظة الأخدع في بيت أبي تمام في قوله:

يَا دَهْرُ قَوم مِنْ أخدِعِيْكَ فَقَدْ أضْجَجتَ هَذَا الْأَنَام مِنْ خُرُقِكَ[1]

فإذا قمنا بمقارنة لفظة الأخدع في بيتين الأول و الثاني نلاحظ أن هناك فارق بينهما حيث لاقت لفظة حسنه و شرفها و قيمتها في البيت الأول فكان لها الفضل و مزية في مجاورتها ما يليها من ألفاظ التي تناسبت معها، أما إذا نظرنا إليها في بيت الثاني فنجدها لها ثقل على النفس و تنغيص و تكدير لأن اللفظة لم تلقى حسنها و قيمتها بما جاورها من ألفاظ، كما لاقته في بيت الأول.

و إذا ذهب "دي سوسير" في دراسته للغة إلى تشبيه نظامها اللغوي بنفس نظام لعبة الشطرنج، فإننا نجد عبد القاهر الجرجاني في مقابل ذلك يذهب إلى تشبيه نظام اللغة بنظام النسيج و في لك يقول: "يكفي في معرفة نسيج الديباج الكثير التصاوير أن تعلم ترتيب للغزل على الوجه مخصوص، وضم لطاقات الابرسيم بعضها إلى بعض على طرق شتى، و جملة الأمر أنك لن تعلم في شيء من الصناعات علماً تمر فيه و تحلى حتى تكون ممن يعرف الخطأ فيها من الصواب و يفصل بين الإساءة و الإحسان بل حتى تُفاضل بين الإحسان والإحسان وتعرف طبقات المحسنين، وتضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم و تعدها واحدة واحدة، وتسميها شيئا شيئا وتكون معرفتك معرفة الصنع الحاذق أي الماهر الذي يعلم كل خيط من الإبرسيم الذي في الديباج، و كل قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطع، وكل أجرة من الأجر الذي في البناء البديع"[2].

و يفهم من هنا أن نظم اللغة عند الجرجاني هو نفسه النسيج الذي تتداخل خيوطه بضم غزل الإبرسيم بعضها إلى بعض فلو و قع خطأ في تداخل الحروف أو قُطع أحدُ خيوط النسيج لأدى ذلك إلى فساد الديباج، فعلى الذي ينسج الديباج أن يعرف كيفية ترتيب غزل

[1]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:80.

[2]-ينظر: المرجع نفسه،ص،ص:74،75.

في المواقع التي تناسب نسجها، و كذلك الحال في نظام اللغة فإذا جعلت ألفاظها تتبع بعضها بعضا دون أن يتوخى فيه معاني النحو لفسد نظمها.

و في تشبيه أخر له نظام اللغة بأنواع الحلي مثل: الذهب و الفضة و في ذلك يقول: "و معلوم أن سبيل الكلام التصوير و الصياغة، و أن سبيل المعنى الذي يعبر عنه بسبيل الشيء الذي يقع التصوير و الصوغ فيه، كالفضة و الذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار، فكما أن محالا إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم و في جودة العمل و رأيت أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة، أو الذهب الذي وقع فيه العمل و تلك الصنعة كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل و المزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه، و كما أنا لو فضلنا خاتما على خاتم بأن يكون فضة هذا أجود، أو فَصُّهُ أنفس، لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم،كذلك ينبغي إذا فضلنا بيتاً على بيت من أجل معناه أن لا يكون تفضيلا له من حيث هو شعر و كلام "[1]، فعبد القاهر حينما أكثر من هذا التشبيه فهو لا يريد أن يسوي بين النظم والنسج في جميع أطرافهما، وإنما يريد أن يقرب الصورة ويجعل الصياغة هي الأساس لا المادة التي يصاغ منهما، أي يجعل النظم أساساً لا الألفاظ من حيث هي ألفاظ و لا المعنى من حيث هو معنى[2].

وقد أوضح الجرجاني مذهبه هذا بقوله :"و إنا لنرى في الناس من إذا رأى أنه يجري في القياس و ضرب المثل أن تشبه الكلم في ضم بعضها إلى بعض بضم غزل الإبرسيم بعضه إلى بعض، ورأى أن الذي ينسج الديباج ويعمل النقش والوشي لا يصغ بالإبرسيم الذي ينسج منه شيئا غير أن يضم بعضه إلى بعض، ويتخير لأصباغ المختلفة المواقع التي يعلم أنه إذا أوقعها فيها حدث له في نسجه ما يريد من النقش و الصورة، جرى في ظنه أن حال الكلم في ضم بعضها إلى بعض، وفي تخير المواقع لها، حال خيوط الإبرسيم سواء، و رأيت كلامه كلام منْ لا يعلم أنه لا يكون الضم فيها ضماً، ولا الموقع موقعاً حتى يكون قد توخى فيها معاني النحو،وأنك إن عمدت إلى ألفاظ فجعلت تتبع بعضها بعضاَ من غير أن تتوخى فيها معاني النحو، لم تكن شيئا تدعى به مؤلف، و تشبه معه بمن عمل نسجاَ أو صنع على الجملة

[1]-عبد القاهر الجرجاني، دالمرجع السابق،ص:188.

[2]-أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته و نقده، وكالة المطبوعات، بيروت، ط1،1393هـ. 1973م،ص: 82.

صنيعاَ، ولم يتصور أن تكون قد تخيرت لها المواقع"[1]، يرى الجرجاني أنه لا معنى للنظم غير توخي معاني النحو فيما بين الكلمات واستخلاص المعاني الخفية، ففكرة الإبرسيم التي استقها في تشبيهه للنظم، لا يمكن أن تكون دقيقة و محكمة مثل فكرة "النظم" التي ربطها بمعاني النحو، و التي تقوم على التذوق و التعمق في الأساليب المختلفة، ومثال ذلك أنك إن قدرت في بيت أبي تمام قوله:

لُعَابُ الْأَفَاعِيْ الْقَاتِلاتِ لُعَابُهُ وَ أريَ الْجِنَى اشْتَرتْه أيْدِ عَوَاسلِ[2].

"إن "لعاب" الأفاعي مبتدأ و"لعابه" خبر كما هو الظاهر، أفسدت عليه كلامه وأبطلت الصورة التي أردها فيه، وذلك أن الغرض أن يشبه مداده بأري الجنى على معنى أنه إذا كتب العطايا والصلات أوصل به إلى النفوس ما تحلو مذاقته عندها، وأدخل السرور واللذة عليها، و هذا المعنى إنما يكون إذا كان لعابه مبتدأ ولعاب الأفاعي خبراً، فأما تقديرك أن يكون "لعاب الأفاعي" مبتدأ و"لعابه" خبراَ فيبطل ذلك و يمنع منه البتة، و يخرج بالكلام إلى ما لا يجوز أن يكون مرادًا في مثل غرض أبي تمام، و هو أن يكون أراد أن يشبه لعاب الأفاعي بالمداد و يشبه كذلك الأري به، فلو كان حال الكلم في ضم بعضها إلى بعض كحال غزل الإبرسيم لكان ينبغي أن لا تتغير الصورة الحادثة عن ضم غزل الإبرسيم بعضه إلى بعض حتى تزال عن مواضعها"[3].

ومن خلال هذا التحليل تتوضح لنا تلك الدلالات والمعاني التي تكمن وراء العلاقات، والمعاني الخفية والتي تبين لنا الفرق بين موضع و موضع، وبين صورة وأخرى حتى لا يختلط عليك الأمر ولا يخفى علينا أن تلك الدلالات تكون دائما مرتبطة بتوخي المعاني النحوية.

وبذلك يمكننا القول: "أن اللغة هي المعاني التي تكمن في الذهن الإنسان، ثم يرتب هذه المعاني على نسق هو مراده الذي يهدف إليه، وبعد ذلك يبحث عن الألفاظ التي يمكن أن تكون من وجهة نظره أداة وخادمة لأداء المعاني فإذا وفق في جمع الألفاظ المفردة وأراد أن

[1]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:244.

[2]- المرجع نفسه، ص:245.

[3]-ينظر: المرجع نفسه،ص:245.

يضعها على النسق الذي يجد فيه هدفه، فلا بد أن يعمد إلى علم النحو وينظر في قواعده وأصوله، ثم يرتب كلامه وفق لهذه القواعد حتى تصيب المفصل، عندئذ تبرز المعني واضحة، وتكون ثمرة لتطبيق هذه القواعد وليس هذا في مقدور كل الناس إلا من أُوتي فهم علم النحو، و كان عنده من الذوق والملكة التي تؤهله لهذا التقنين الدقيق "[1]،ولا يكتفي عبد القاهر الجرجاني بتشبيه النظم "بالنسيج" و"الذهب والفضة" بل ذهب إلى أبعد من ذلك حينما شبهه "بالبناء"، و"هذا ما لا نعتقد أن الدراسات اللسانية القديمة أم الحديثة قد فكرت في مثل هذا التصور الذي لخص فيه نظرية "النظم" في صورته الهندسية"[2] حينما قال : "واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت، أن تتحدد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً، وأن يكون حالك حال الباني يصنع بيمينه ههنا في حال ما يصنع بيساره هناك، نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث و رابع يضعها بعد الأولين"[3].

ويفهم من وراء هذا التشبيه أن هندسة النظم عند الجرجاني مثل هندسة البناء تقوم على نظم "أجرات" النص يعني كلماته ورصها في الجدار الكلامي رصا تراعي فيه الأبعاد الفضائية والسطوح المختلفة انطلاقا من النقطة مروراً بالخط وصول إلى المساحة، وبهذا التشبيه الهندسي نقل الجرجاني الكلام من النحو النظري إلى النحو التطبيقي وهو نحو نظري وعملي في نفس الوقت رابطا إياه بالمنطق الرياضي لبلوغ منتهى التعقل في مدارك الإعجاز[4].

ومما نخلص إليه أن التركيز على مبدأ انتظامية اللغة أمر لم يكن بغائب عن تراثنا العربي القديم، فقد مهد لمعرفته الكثير من علماء اللغة من قدماء العرب، و الذين قطعوا بالدراسات اللغوية شوطاً كبيراً من نضوجه وكما أشارنا سابق كان **"عبد القاهر الجرجاني"** من العلماء الذين تناول موضوع "اللغة" و قد كانت طريقته في تناول اللغة تتلاءم مع مجريات الدرس اللساني الحديث و بخاصة مع **"فرديناند دي سوسير"**، بحيث ذهب كلاهما إلى نفس الفكرة

---

[1]-فؤاد علي مخيمر مخيمر، المرجع السابق، ص،ص:136، 137.

[2]ينظر: محمد الصغير بناني، المرجع السابق، ص:39.

[3]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:103.

[4]-ينظر: المرجع السابق، ص:39.

ألا و هي اعتبار "اللغة نظام" يتكون من مجموعات العلاقات، ولو قارنا التشبيه الذي أورده الجرجاني "للنظم" من خلال أنواع التشبيه الثلاثة التي قدمها و هي: التشبيه بالنسيج، والتشبيه بالذهب والفضة، والتشبيه بالبناء، بتشبيه الذي أورده دي سوسير "للنظام اللغة" والذي قصره على تشبيه واحد هو لعبة الشطرنج لوجدنا هذا الأخير أكثر توضيح و دقة لمبدأ انتظامية اللغة.

المطلب الثاني: اللفظ و المعنى في مقابل الدال و المدلول.

تعتبر قضية الدال والمدلول أو اللفظ والمعنى من القضايا الجدالية المهمة التي شغلت حيزا لا باس به في الدراسات اللغوية منذ زمن بعيد سواء كانت في الدراسات العربية القديمة التي تناولت ثنائية "اللفظ والمعنى" أوفي الدراسات اللغوية اللسانية التي دراسة ثنائية "الدال والمدلول" أو ما يطلق عليها ما يسمى "بالعلامة اللسانية"، و التي عدت هذه الأخيرة من أهم القضايا التي تناولها الدرس اللساني الحديث، التي أن النظام يتكون من العلامات.

تعتبر العلامة اللغوية **"الدال والمدلول"** إحدى أهم المرتكزات الكبرى التي تناولها الدرس اللساني مع "فرديناند دي سوسير"، فقد احتلت هذه الثنائية أولوية وعناية لما لاقته من صدى كبير في فكره اللساني، فالعلامة من منظوره ماهي إلا وحد النسق، فهي العنصر اللساني الذي يتكون من صورة سمعية "Acoustique image" وهي ما اصطلاح عليها **"الدال"**، و مفهوم concept و الذي عبر عنه **"بالمدلول"**، أي الفكرة التي تقترن بالصورة السمعية[1].

ومن هنا يتبين لنا أن مفهوم العلامة عند "دي سوسير" عبارة عن كيان ذو وجهين و هما ما عبر عنهما "بالدال والمدلول" ورأى بذلك استحالة الفصل بينهما، فهما بمثابة وجهان لعملة واحدة، وهذا ما أقره دي سوسير حينما قال :"أن الوحدة اللغوية هي كيان ثنائي أي كيان يتألف من الربط بين عنصرين"[2].

و من هنا يذهب إلى توضيح العلاقة التي تجمع بينهما في قوله: "إن العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية"[3]، و المقصود بكلمة الاعتباطية، أن المدلول ليس مرتبطا بالدال بأية علاقة

[1]-ينظر: أحمد حساني، المرجع السابق، ص:36.

[2]-فرديناند دي سوسير، المرجع السابق،ص84.

[3]-المرجع نفسه، ص:86.

مهما كان نوعها أي لا علاقة بين المجموعة الصوتية و التصور المفهوم، وبعبارة أدق، ليس في الطبيعة ما يجبرنا على مقابلة هذا الدال بهذا المدلول[1]، ومعنى ذلك أن العلاقة بين الدال والمدلول تواضعية اصطلاحية تم التوافق عليها.

وإذا سلمنا بهذا الأمر بأن العلاقة بين الدال "signifier" و المدلول "signifie" هي علاقة اعتباطية كما عبر عنها "دي سوسير"، فإن هذه الحقيقة العلمية التي أقرها تثبت أن العلاقة بينهما هي علاقة غير معللة أي غير مبررة، ولكنها خاضعة إلى ما يفرضه النظام اللغوي العام الذي يعتبر الكلمات أو العلامات اللسانية وحدات دالة في إطار التركيب[2].

يفهم مما سبق أن العلامة اللسانية تجمع بين الصورة سمعية وهي الدال أي اللفظ وبين التصور أي المدلول وهو المعنى و هذه العلاقة التي تجمع بينهما غير مبررة، فهي بذلك تخضع للحكم نظام اللغة الذي يعطي للكلمات أو العلامات اللسانية دلالة وهي داخل التركيب بحيث لا يمكن أن نعتبر وحدات دالة ما لم تكن في تركيب ومن بين الأمثلة التي توضح اعتباطية العلامة اللغوية عند دي سوسير : فكرة "الأخت" sistre حيث يرى أن هذه الكلمة لا ترتبط بأية علاقة داخلية بتعاقب الأصوات "أ. خ . ت" والتي تقوم بوظيفة الدال، بحيث بالإمكان تمثيل هذا المفهوم بأية مجموعة أخرى من الأصوات، كما هو واضح من اختلاف بين اللغات، فالدلول " ثور " له دلالة في الفرنسية b-o-f بينما نقول عنه في الألمانية "o k r"[3]، فمبدأ الاعتباطية عند دي سوسير مبدأ جذري ذو أهمية عالية لا يتم على مستوى العلاقة بين الصوت والمعنى وإنما على مستوى الشكل فالاعتباطية تدعي أن الربط بين التصور والصورة الصوتية ليس مسبباً وهذا ما يحميها من التغيرات المفاجئة.

وهنا يجدر بنا الإشارة إلى أن القول باعتباطية العلامة اللسانية بين الدال والمدلول لا يعني الفوضى و الحرية المطلقة في اختيار الألفاظ، وليس معنى الاعتباطية بين الدال و المدلول أيضا أن المتكلم له الحرية الكاملة في اختيار الدلالات التي يريد أن يعطيها لهذه العلامة أو تلك، إن

[1]-مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1،2010 م، ص:232.

[2]ينظر: سليمان بن سمعون، المرجع السابق، ص:40.

[3]ينظر: فرديناند دي سوسير، المرجع السابق، ص:87.

المتكلم في حالة سكونية Etat synchronique معينة للسان لا يختار أبداً دلالة العلامات التي يستعملها، ولا يمكنه أن يغير منها أو يحيد عنها لأن تلك الدلالات تكون خارج الأفراد[1].

و يفهم من خلال ذلك أن دي سوسير لم يكن يقصد بالاعتباطية تلك الاعتباطية المطلقة التي تعطي الأشخاص الحرية في التعبير عما يحلو لهم من الدوال على المدلولات لأنه يرى ذلك خارج الأفراد بل هو يقصد الاعتباطية المقيدة حينما قال: "ثم إن كلمة الاعتباطية تستوجب توضيح فهذه الكلمة لا تعني أمر اختيار الدال متروك للمتكلم كليا، بل أعني بالاعتباطية أنها لا ترتبط بدافع أي أنها اعتباطية لأنها ليس لها صلة طبيعية بالمدلول"[2].

ويفهم مما سبق أن مبدأ الاعتباط ليس شيء مطلق خاضع لاختيار المتكلم، بل هو شيء مقيد الذي يفهم من خلاله أن الدال ليس أمرَ خاضعا لمحض اختيار المتكلم فهو أمر غير مبرر بالنسبة للمدلول.

استطاع "دي سوسير" من خلال بحثه اللغوي أن يكشف أن المفردة اللغوية ليست معادلا بسيطاَ ومباشراً لجسد مادي مرئي، كأن تقول مثلا: أن الصورة الكتابية لكلمة شجرة أو أن الحروف المتوالية: "ش ـ ج ـ ر" التي نراها مصورة كتابة تعادل صورة الشجرة الحقيقية، بل رأى أن العلاقة بين هاتين الصورتين تجري وفقاَ لعملية معقدة وأن لهذه العملية أكثر من مستوى، يعتبر دي سوسير الحروف المتعاقبة "ش ـ ج ـ ر" أصوات تمثل الصورة الصوتية أي الدال أم شكل الشجرة فيمثل الصورة الذهنية المدلول ويصرح دي سوسير بأن العلامة اللغوية لا تجمع بين شيء واسم، ولكن بين المفهوم و صورة أكوستيكية لكنه لا يلبث أن يؤكد أن طبيعة العلامة هي اعتباطية لأنها ليس لها مع المدلول أي ارتباط طبيعي بالواقع"[3]، و كل ما سبق ذكره يمثل الدليل اللغوي حسب سوسير الذي يرى أن نظام اللغة عن مجموعة من الدلائل.

---

[1] ينظر: مصطفى غلفان، المرجع السابق،ص:235.

[2] ينظر: فرديناند دي سوسير، المرجع السابق،ص،ص:88،87.

[3] ينظر: ميشال أريفيه، البحث عن فرديناند دو سوسير، تح: محمد خير محمود البقاعي، مر: نادر سراج، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1،2009م، ص،ص:88،89.

وإذا ما وقفنا قليلا عند هذه النقطة فنجد أن صفة الاعتباطية لم تكن غائبة في الدرس العربي القديم، فقد شغلت هذه الظاهرة اللغوية علماء العربية، فقد تناول "عبد القاهر الجرجاني" قضية الاعتباط في الحدث اللساني قبل أن يشير إليه "فرديناند دي سوسير"، وذلك من زاوية اختبارية وصفية ملحّا على أن اقتران أي اللفظ بمعناه لما كان في منشئة تواطؤاً محضا، فإنه لا يقوم بين الدال والمدلول من الاقتضاء ما يمْنع تصور أي دال اخر لنفس المدلول كان يمكن أن يقوم مقام الدال الأول، و بنفس الانتهاج الاستدلالي لا يمتنع تصور أي مدلول أخر لأي دال من دوال اللغة كان يمكن أن يكون كامنا وراءه بدلاَ عنه"[1].

ومن هنا نلاحظ أن عبد القاهر الجرجاني تحدث عن قضية الاعتباط التي سبق بها الفكر اللساني السويسري، وذلك عند تناوله لثنائية اللفظ والمعنى وإقرار منه للعلاقة القائمة بينهما، وفي ذلك يقول الجرجاني: "أن اللفظ رمز لمعناه"[2].

ومن هنا يوضح مدى العلاقة التي تربط "اللفظ والمعنى" فهما متلازمان، فالمعنى لا يقوم بغير لفظه و اللفظ لا يقوم إلا بمعناه، و منه جمع بين اللفظ و المعنى وسوى بين خصائص كل واحد منهما فهما شيء واحد متلازمان ملازمة الروح للجسد، و يؤكد الجرجاني فكرة الاعتباطية في قوله: "نظم الحروف هو تواليها في النطق و ليس نظمها بمقتضى عن المعنى، ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسماَ من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه، فلو أن واضع اللغة كان قد قال "ربض" مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد "[3].

ويتضح من ذلك أن الجرجاني قد أدرك الطبيعة الاعتباطية للعلاقة الكائنة بين الدال والمدلول أو اللفظ و المعنى، فهو يؤكد أن الحروف نظمٌ و توال و ترتيبٌ، ولكنه يُفقد جانب المعنى إذ ترتيبها عرفي أو اعتباطي، ولو وقفنا عند هذا التوضيح الذي أورده الجرجاني في حديثه عن حروف منظومة لوجدنه يتفق مع دي سوسير حينما وضح فكرة الاعتباطية في حديثه عن تعاقب أصوات كلمة "أخت" كما يرى الجرجاني أن الحروف أو نظمها منطوق و لكن ليس له

[1]-ينظر: عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص:113.

[2]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:18.

[3]-المرجع نفسه، ص:81.

مرحلة سابقة في الذهن، سابقة على مرحلة النطق وهو ما يعرف باعتباطية أو جزافية أوالعشوائية التي تتميز بها العلامة اللغوية إذ لا يوجد ارتباط حتمي بين الدال و المدلول أو بين اللفظ والمعنى[1].

ومن هنا نرى أن كل من الجرجاني و دي سوسير يتفقان على أن الدلالة اللغوية ماهي إلا اصطلاح وتواضع اجتماعي و أن الاختلاف بين اللغات يكون بسب الاختلاف بين الدال والمدلول والعلاقة بينهما عند كل قوم، و في موضع أخر يرى الجرجاني أن الدلالة تعدو متداولة في كل لغة بهذا الترابط الذهني القائم على العرف بين الدال و المدلول[2]،حيث يقول :"هل يتصور أن يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدلة على معناها الذي وضعت له عن صاحبتها علة ما هي موسومة به، حتى يقال إنه "رجلا" أول على معناه من "فرس" على ما سمي به و حتى يتصور في الاسمين الموضوعين لشيء واحد أن يكون هذا أحسن نبأ عنه و أبين و أكشف عن صورته من الأخر؟ فيكون "الليث" مثلا أدل على معنى السبع المعلوم من "الأسد" وحتى إنا لو أردنا الموازنة بين لغتين كالعربية و الفارسية ساغ لنا أن نجعل لفظة "رجل" أدل على العلاقة الأدمي الذكر من نظيره في الفارسية"[3] يفهم من قول الجرجاني أنه يحاول أن يحلل عملية الإبداع فيقسمها إلى عملتين الأولى: غير لغوية، نفسية تدور في الذهن حيث يحدث التلاؤم بين المعنى و اللفظ، أو ما يطلق عليها الاختيار، أما الثانية وهي: لغوية، منطوقة أو بدايتها النطق حيث يوجد التأليف أو ما يطلق عليها عملية التأليف.

ويتبين مما سبق أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي لفظة مفردة، فلا فضيلة للفظة على لفظة أخر في الدلالة حتى تدل على معناها الذي و ضعت من أجله، و عليه فإن دلالة لفظة "رجل" ليست لها الفضيلة على لفظة "الأدمي" في اللغة العربية و الكلمة الدالة عليها في الفارسية لأن كلامها تؤدي وظيفتها الخاصة بها حسب الموقع الذي تأخذه و من هنا كانت العلاقة الموجودة بين الدال و المدلول هي علاقة اعتباطية عشوائية، و لا يعقل أن تكون لفظة

[1]-ينظر: سعيد حسن بحيري، دراسات تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1426هـ . 2005م،ص:197.

[2]-ينظر: فايز الداية، المرجع السابق، ص:18.

[3]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق،ص:78.

"رجل" أدل على ما وضعت له من كلمة "فرس" أو لفظة "الليث" أدل على ما وضعت له من كلمة "السبع".

ويشير الجرجاني في موضع أخر إلى استحالة أن تحمل الألفاظ دلالاتها في أنفسها، فاللفظ في ذاته يحمل دلالته الواقعية و يقول في ذلك: "اعلم أن هاهنا أصلا أنت ترى الناس فيه في صورة من يعرف من جانب و ينكر من أخر و هو أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها و لكن لأن يضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينها فوائد و هذا علم شريف و أصل عظيم، و الدليل على ذلك إن زعمنا أن الألفاظ هي أوضاع اللغة، إنما وضعت ليُعرف بها معانيها في نفسها لأدى ذلك إلى ما لا يشك عاقل في استحالته...وحتى لو لم يكوْنوا قد وضعوا الحروف، لكن نجهل معانيها فلا نعقل نفيا و لا نهيا و لا استفهاما ولا استثناءً و كيف ؟و المواضعة لا تكون و لا تتصور إلا على معلوم فمحال أن يوضع اسم أو غير اسم لغير معلوم و لأن المواضعة كالإشارة"[1].

و من هنا يتضح أن عبد القاهر قد حسم أن العلاقة بين الدال "الصورة الصوتية"، والمدلول "المعنى الذهني" علاقة اعتباطية وقد كان عبد القاهر وصفيا في تفسير الأصوات التي تبدوا مشابهة لمسمياتها عند الإنسان، فالجرجاني يرى أن اللغة نتاج بشري، والناس عندما أرادو وضع اسم لمسمى معين حاولوا التوفيق بين صفة الشيء المسمى، وما يوافقه من الأصوات أو الدوال[2]،فالمواضعة تستند حتما إلى "المعلوم" تكون نسبته إليها نسبة المرجع إلى الدال والمدلول في المثلث الدلالي، فهو بمثابة الركيزة الشرعية في استقامتها وانتظامها بما يجعلها جهازا إبلاغياً تواصلياً، و هذا ما دققه عبد القاهر الجرجاني حين صرح بأن المواضعة لا تكون ولا تتصور إلا معلوم، فمحال أن يوضع اسم أو غير اسم لغير معلوم، ولأن المواضعة كالإشارة لتعرف السامع المشار إليه في نفسه، و لكن ليُعلم أنه المقصود من بين سائر الأشياء التي تراها وتبصرها، كذلك حكم اللفظ مع ما وضع له"[3]، وفي موضع اخر يقول الجرجاني :" وهل تجد أحداً يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم و حسن ملاءمة معناها لمعنى جاراتها،

[1]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق،ص:332.

[2]-ينظر: حليمة أحمد عمايرة، المرجع السابق، ص:160.

[3]-عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص:143.

وفضل مؤانستها لأخواتها ؟"[1]،وهو بذلك يقر بعدم الفصل بين اللفظ والمعنى لأن التلازم أوالمؤانسة أو التناسب بين الألفاظ و المعاني يكون قد وقع بينهما في العملية الذهنية الأولى، وليس من المنطقي بعد ذلك أن نتصور انفصالهما في العملية الذهنية الثانية، حيث لا ينفصل الاختيار عن التأليف، فالنظم إذا يصل بين اللفظ ومعناه[2].

مما سبق ذكره نلاحظ أن مصطلح التأليف لدى الجرجاني يقابله مصطلح التركيب عند دي سوسير من حيث اختيار الكلمات في الذهن و أن الكلمات أو الوحدات لا تحمل أي دلالة في حد ذاتها إلا إذا ضمت إلى كلمات أو وحدات أخرى معها في نفس التأليف أو النظم وهذا ما أشار إليه دي سوسير حينما رأى أن الكلمات لا تؤدي دلالة وهي منفردة أي خارج تركيبها فالعلامة لا تكتسب فيمتها إلا داخل نظامها، وفي تأكيده على العلاقة بين الدال والمدلول يقول: "لا يتصور وجود الكيان اللساني إلا باجتماع الدال و المدلول مترابطان وتربطهما هذا يؤدي بضرورة عدم الفصل بينهما، فإذا تناولت عنصر واحد من هذه العناصر،أي الدال لوحده منفصل عن المدلول، أو المدلول وحده بغير داله يؤدي ذلك إلى اختفاء الكيان وتلاشيه[3]، و يمثل دي سوسير لذلك في قوله: "إذا قسمنا السلسة المنطوقة إلى مقاطع، لأن المقطع لا قيمة له في النظام الصوتي "الفونولوجي"، فتعاقب الأصوات ليس شيئا لغويا إلا إذا عبر عن فكرة ما، أما أخذ هذا التعاقب للأصوات بصورة مستقلة أصبح مادة لدراسة فسلجية ليس إلا، و نفس الشيء بالنسبة لمدلول حينما يفصل عن الدال، فإذا نظرنا إلى مفهومات كل من "البيت" و"أبيض" و"رأى" وغيرها بصورة مستقلة نفهي جزء من علم النفس ولا تصبح كيانات لغوية إلا إذا ارتبطت بالصورة الصوتية"[4].

إن ما يراد توضحه من وراء قول دي سوسير هو قوله بأن الكل ملموس و هو يقصد الدال و المدلول و الأجزاء التي يتكون منها هذا الكل هي أجزاء مجردة، فإذا عد كل جزء من هذه الأجزاء في ذاته، أي إذا اعتبارنا الدال بمفرده والمدلول لوحده، فإن هذا الانفصال في

---

[1]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:78.

[2]-سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص:190.

[3]-ينظر: الكراعين أحمد نعيم، علم الدلالة بين النظرية و التطبيق، المؤسسة الجامعية، لبنان، ط1،1993، ص:89.

[4]-ينظر: فرديناند دي سوسير، المرجع السابق، ص:122.

جزاءي العلامة اللغوية لا يعبر عن خصائص التركيبية بينهما، وهو بذلك يلزم ضرورة اتحاد كل من الدال و المدلول أو اللفظ والمعنى بمفهوم الجرجاني وعدم الفصل بينهما، وهذا ما يؤكد عليه الجرجاني من جهة أخرى فما جوهر نظريته "النظم" إلا ذلك الإقرار بعدم الوصول إلى المدلول إلا من خلال الدال، وفي ذلك يقول: " والمتعلل بمثل ما ذكرت، من أنه إنما تصعب إذا احتيج مع ذلك إلى مراعاة المعاني، إذا تأملت يذهب إلى شيء طريف، وهو أن يصعب مرام اللفظ بسب المعنى و ذلك محال، لأن الذي يعرفه العقلاء عكس ذلك، وهو أن يصعب مرام المعنى بسب اللفظ"[1].

يفهم من هنا أن توالي الحروف فيما بينها لا يثبت لها الإعجاز أو التأليف أو النظم إلا إذا كانت الألفاظ دالة فصعوبة فهم معنى يرجع إلى صعوبة اللفظ وليس المعنى، وهو بذلك يشير إلى حصر المزية في اللفظ وحده، وكذلك يقصرها على المعنى في الظاهر، لأن الجرجاني يرى أن اللفظ لا يتصور منفصلا عن المعنى إذ لا بد لكل دال من مدلول، ويضرب الجرجاني أمثلة للدليل اللغوي مثل قولهم :"هو طويل النجاد" يريدون طويل القامة، وفي قولهم: "كثير رماد القدر" دلالة على كثير القرى وفي قولهم: "المرأة نؤوم الضحى" دلالة على أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها، فلقد أرادوا من وراء هذا كله الوصول إلى المعنى الذي لم يذكره بلفظه الخاص به مباشرة، ولكنهم توصلوا إليه من خلال ذكرهم لمعنى أخر من شأنه أن يرادفه في الوجود، وهذا ما أطلق عليه عبد القاهر الكناية"[2].

و يورد أمثلة على ما أطلق عليها الاستعارة مثل ان تقول: "رأيت رجلاً هو كالأسد في الشجاعة" فتدع ذلك و تقول: "رأيت أسد"، وفي ذلك ادعاء في إنسان إنه أسد ولا يكون الإنسان أسد فهذه مبالغة و دلالة من وراء هذا التشبيه هو إثبات الشجاعة"[3].

و في ذلك يقر الجرجاني بأن تأثير الاستعارة و الكناية لا يكون في المعنى و حقيقته بل هو في إيجابه و الحكم عليه، وهو يقصد بذلك أنك إذا كنيت عن معنى قد زدت في ذاته بل

[1]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:87.

[2]- المرجع نفسه، ص:89.

[3]-ينظر: المرجع نفسه، ص:90.

المعنى أنك زدت في إثباته فجعلته أبلغ و أثبت و أشد، فهو أن المزية والفضيلة ليست في اللفظ "جم الرماد"، فذلك ليس بأدل على "قرى أكثر" بل هو إثبات و تأكيد له القرى الكثير من وجه أبلغ، و كذلك ليست المزية التي تراها في قولك : "رأيت أسد" على قولك: "رأيت رجلا لا يتميز عن الأسد في شجاعته و جرأته"، أنك قد أفادت بالأول زيادة في مساواته الأسد بل افدت بذلك الاثبات و التأكيد.

يعمد عبد القاهر الجرجاني إلى موقف نقدي صريح من تصور النّاس لفكرة التّحول الدلالي عموما، فلا يقتنع بما حدّوا به المجاز ارتكاز على أن اللفظ لا يحول عن مدلوله مثلما أن الدال لا ينسلخ عن داله وفي استنطاق الجرجاني لهذه القضية دقّة تترقى إلى مراتب النظرية الكلية في المعرفة و التّصور فتلامس جوهر الأشكال النّظري من حيث علاقة التفكير باللغة[1]،وفي ذلك يقول الجرجاني: "فقد تبين من غير وجه أن الاستعارة إنما هي ادّعاءُ معنى الاسم للشيء، لا نقل الاسم عن الشيء، و إذا ثبت أنها ادّعاء معنى الاسم للشيء علمنا أن الذي قالوه من تعليق للعبارات على ما وضعت له في اللغة و نقل لها عما وضعت له هو الكلام قد تسامحوا فيه لأنه إذا كانت الاستعارة ادّعاء معنى الاسم لم يكن الاسم مُزالا عما وضع له بل مقرا عليه"[2].

و موقف الجرجاني يؤيد ما ذهب إليه دي سوسير فنجد دي سوسير قد قدما اعتراضين يمنعان الأخذ بمبدأ ارتباط أصوات الكلمة بالماهية و هما: الاعتراض الأول: يرى أن الكلمات المحاكية للأصوات تدل على أن الدالة signifiant ليست دائما جزافية arbitraire أي أن مبانيها الصوتية توحي أحيانا بارتباط معين بين اللفظ والمعنى أو الدال والمدلول، إلا أن عدد هذه الكلمات كان قليلا نسبة إلى ألفاظ اللغة كما أنها تمثل جزاً هاماً في المعجم اللغوي، إضافة إلى أنها لا تمثل عناصر عضوية في داخل النظام الصوتي، كما يرى أن الكثير منها يمكن أن يكون قد حدث تطورات صوتية تضعف من تصور هذه الكلمات مجرد محاكاة للأصوات طبيعية، أما الاعتراض الثاني :أنه لو كانت الكلمات تحمل دلالاتها المطابقة للواقع، كالصيحات الانفعالية

[1]-عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص:194.

[2]- المرجع نفسه، ص:194.

أو الكلمات التي تمثل دلالتها، لوجدنا هذه الألفاظ متماثلة في كل لغات العالم، إلا أن المقارنة بين هذه الصيحات في لغتين تدل على التفاوت التي تعبر به كل منهما على المواقف نفسها[1].

و هكذا يتبين لنا أن العلامة إعتباطية من خلال النظم و النظام، و هذا ما يحيل إلى الحديث عن العلاقة بين اللغة و الفكر و سوف نشير إليه فيما يلي:

– العلاقة بين اللغة و الفكر:

لقد تصور القدماء العلاقة المجودة بين "اللغة و الكلام" وذلك من خلال تصورهم بأن اللغة لوحة ترسم منعطفات الفكر اللساني في إبلاغه وتقبله، ومن هنا يذهبون إلى القول بأنه لا تفكير بلا لغة ولا لغة بدون تفكير، وهذا مراماه ألا كلام بغير محتوى، فما لم ينطو على مضمون فهو لغو كتصويت غير ذي معنى، ويتبين من المعادلة نفسها أن علاقة اللغة بالتفكير علاقة إجرائية و علاقة انعكاسية في الأن معاً[2]، ولعل من أهم هؤلاء نجد "عبد القاهر الجرجاني" الذي أدرك تلك العلاقة القائمة بين "اللغة و الكلام"، فما نظريته "النظم" إلا ذلك الترابط العضوي بين اللغة و الكلام، وفي ذلك يرى الجرجاني أن الألفاظ تخدم المعاني و المعاني هي الأصل في أي تعبير لغوي داخل نظام محكم، فاللغة إذاً هي غير الفكر مع وجود تلاحم بينهما في ارتباط عضوٍ محكم، و يذهب "جون ديوي" بنفس فكرة الجرجاني حول هذه العلاقة حيث يرى "ديوي" بأن اللغة غير الفكر مع وجود التلازم و الترابط العضوي بينهما[3].

ومن ذلك يفهم أن عبد القاهر الجرجاني لم يفصل بين اللغة و الكلام إلا فصلا مظهري حينما اعتبر اللغة مختلف عن الفكر، لكنه من جهة أخر لا يغض النظر عن الصلة القائمة بين اللغة والفكر حيث يقول :"ليس الغرض من نظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالتها و تلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[4].

---

[1]–ينظر: مصطفى مندور، اللغة بين العقل و المغامرة، منشأة المعارف، الاسكندرية، القاهرة، مصر، دط،1974م،ص:99.

[2]–ينظر: عبد السلام المسدي، اللسانيات و أسسها المعرفية، دار التونسية،تونس،ط1،أوت 1996م،ص،ص:22،23.

[3]–ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:20.

[4]–المرجع نفسه، ص:14.

و من خلال هذا النص نلمس العلاقة العضوية التي أقرها عبد القاهر بين اللغة والفكر من حيث ترابط دلالات الكلمات مع كلمات المجاورة لها داخل نظام واحد، ولقد نجح الجرجاني "في تحديد موقع العقل من قضية خروج الكلام من الاعتباط الابتدائي إلى ذلك التلازم الصائر، حين حلل علاقة الإنسان باللغة عبر التفكير وانتهى إلى أن الكلام لا يخرج منه شيء عن عمل العقل إلا دلالة الألفاظ بالواقع المبتدأ، فبمجرد ضم كلمة إلى أخر نحصل على بنية مفيدة تقوم على الاسناد و تبقى المشكلة مطروحة على صعيد نظرية المعرفة الخالصة، والتي مفادها ما الذي يكمن و راء التحام جزأين حتي يصير منها كل دلالي لا يتجزأ ؟، و يرجع الجرجاني جواب ذلك إلى العقل "[1].

ومن هنا ينطلق الجرجاني من فكرة مفادها أن ما يميز الإنسان عن سائر المخلوقات هو العلم الذي يعني القدرة على الإدراك والفهم، فهذه الفكرة اتخذها لربط اللغة بالتفكير، و يحاول بعدها إبراز دور التفكير في نشؤ اللغة"[2]، وعلى هذا الأساس بنى الجرجاني تفكيره باعتباره سبق النظريات الحديثة التي تؤكد أنه لا وجود للغة بدون فكر و لا وجود للفكر بدون اللغة، وفي ذلك يدلي دي سوسير برأيه حول طبيعة العلاقة بين اللغة و الفكر قائلا: "إنه لا كيان للغة إلا في ذهن الأفراد وعلى ذلك فلا وجود لأفكار بدون كلمات ولا حياة للكلمات بدون أفكار"[3].

يفهم مما سبق أن دي سوسير يؤمن بالعلاقة القائمة بين اللغة والفكر، لأن اللغة لا وجود لها إلا في أذهان متكلميها فالفرد يفكر ثم يتكلم، وهذا ما يستلزم عدم وجود أفكار بدون كلمات فلا نستطيع أن نعبر عن أفكارنا إلا من وراء الكلمات التي ننطق بها، وفي حديثه عن طبيعة العلامة اللغوية يقول إن العلامة اللغوية لا تخلو من الوحدة بين الاسم و الشيء، ولكن بين فكرة وصور سمعية فالوحدة جامعة بين الاسم والفكرة والعلاقة بين الكلمة والفكرة التي هي في الذهن ولا يمكن أن يكون من الكلمة والشيء وحدة واحدة، ويرى أن الدور المميز بالنسبة للفكر ليس وسيلة صوتية مادية للتعبير عن الأفكار، بل القيام بوظيفة حلقة الوصل بين الفكر

[1]- عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص:178.

[2]-ينظر: جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز، دار الجيل، دمشق، د ط، 1980م ،ص:31.

[3]-وليد محمد مراد، المرجع السابق، ص:107.

والصوت في ظروف تؤدي بالضرورة إلى التمييز المتبادل لوحدات الفكر والصوت[1]،و يضرب دي سوسير مثالا :وهو تصور الهواء عند ملامسة سطح الماء :فإذا تغير الضغط الجوي تموج سطح الماء إلى سلسلة من الأقسام أو الأمواج وهذه الأمواج تشبه الربط بين الفكر ومادة الصوت[2]،و هذا ما يؤكد على ارتباط اللغة بالفكر و مما ينتج عن هذا الارتباط شكل و ليس المادة و في ذلك نجد الجرجاني يقول :"ما في اللفظ لولا المعنى، و هل الكلام إلا بمعناه ؟"[3].

وهذا ما يؤدي بنا إلى القول أن هناك نوعا من التشاكل و التوافق الحاصل بين عبد القاهر الجرجاني و فرديناند دي سوسير حول قضية العلاقة بين اللغة و الفكر، فكلاهما يرى أن العلاقة بينهما قوية طبيعية، فلا حياة لأحدهما بدون الأخر، فلا اللغة بدون فكر و لا الفكر بدون للغة فهما يشكلان قطعة واحدة ذات وجهين أحدهما اللغة و الأخر فكر.

يمكن القول في النهاية أن العلاقة بين الدال والمدلول هي ما يؤكد اعتباطية العلامة اللسانية، وعلى الرغم من اختلاف اللغويين في دراسة هذه الثنائية قديماً وحديثاً، إلا أنها في واقع الأمر هي محل الائتلاف بينهم في مجال الدراسة اللغوية ومع ذلك فقد اختلفت المصطلحات التي تناولت هذا المفهوم ففي الدراسة العربية التراثية نجد الخلاف قائما بين اللفظ و المعنى[4].

و بذلك نخلص إلى أمر و هو أن الدال عند دي سوسير يقابله اللفظ عند الجرجاني والمدلول يقابله المعنى.

[1]-فرديناند دي سوسير، المرجع السابق،ص:132.

[2]- المرجع نفسه، ص:132.

[3]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:186.

[4]-ينظر :سليمان بن سمعون، المرجع السابق، ص:46.

المطلب الثالث: نظم الحروف و نظم الكلم في مقابل العلاقات الاستبدالية و العلاقات التركيبية.

يتميز وجود اللغة عند "فرديناند دي سوسير" على مستوى المحورين الأساسين الذين تقوم عليهما العلاقة بين العلامات اللغوية، و يتمثل هذان المحوران فيما يسمى بالعلاقات التركيبية R syntagmatiques، والعلاقات الاستبدالية R paradigmatiqus، أما العلاقات الاستبدالية فهي تلك العلاقات التي تحقق وظيفتها ضمن ادارك الترابط الذهني الحاصل بين العلامات اللغوية، التي يمكن أن تحل محلها[1]، أما العلاقات التركيبية :فهي تلك العلاقات من حيث هي مبنية على صفة الخطية linearite، لأنها ترتبط بعضها ببعض، وهذه الحقيقة تحول دون النطق بعنصرين في أن واحد، وتكون العناصر مرتبة بصورة متعاقبة في سلسلة الكلامية[2]،تعتبر العلاقات التركيبية "السنتاكمية" والعلاقات الاستبدالية "الايحائية"، من أهم وأبرز الثنائيات التي تناولها "دي سوسير" والتي بنى عليها درسه اللساني نظرا لأهميتها.

وانطلاقا مما سبق فقد وضح دي سوسير وظيفة كل من المحورين، فالمجموعات اللغوية الحاضرة في الذهن تكون موجودة على مستوى الاستبدال وهي عبارة عن كيانات منفصلة أي عبارة عن كلمات أو علامات منفردة، تمثل القدرة على تبادل الظاهر اللغوية، أما العلاقات التي تربط بين وحدات اللغة وهي تمثل الجمل، أثناء التعبير بها فتكون على مستوى التركيب[3]، ومن وراء هذا التحديد للوظيفة العلاقات الاستبدالية والعلاقات التركيبية، يتبين لنا أنهما يمثلان الجانب الاجرائي الذي يعمل وفقه النظام، فالعلامات اللسانية وهي منعزلة تكون على مستوى الاستبدال مثل: "الأسماء و الأفعال و الحروف"، ولتوضيح ذلك نأخذ على سبيل المثال مجموعة من العلامات وهي: "زيد، جاء، مررت...إلخ"، نلاحظ أن هذه العلامات لا تؤدي أي دلالة وهي منعزلة في المستوى الاستبدالي، فإذا أردنا الانتقال من المستوى الاستبدالي إلى مستوى التركيبي، أي من العلامات اللسانية وهي منعزلة إلى العلامة اللسانية وهي داخل التركيب نقول: "جاء زيد" و "مررت بزيد"، فهذا الانتقال يمنح العلامات دلالتها مما يكسب

[1]-الطيب دبة، المرجع السابق، ص:89.

[2]-ينظر: فرديناند دي سوسير، المرجع السابق، ص:142.

[3]-ينظر: خليفة بوجادي، المرجع السابق، ص:20.

كل علامة قيمتها بمقابلتها لما يسبقها أو يلحقها من علامات، وهذا ما يقره "دي سوسير" في قوله: "يكتسب العنصر قيمته في التركيب لأنه يتقابل مع ما يسبقه أو يأتي بعده أو معهما في أن واحد"[1].

و من هنا يفهم أن التركيب هو ما تكون من كلمتين أو أكثر مما يشكل لنا جملة تتم الافادة منها ومنشأ ذلك التركيب هو الانطلاق من مستوى الاستبدال إلى مستوى التركيب،فلا يمكن أن نتحدث عن الجوانب النحوية ما لم تكن في الاستبدال، وبذلك لا يمكن الفصل بين هذين المحورين، فالعلاقة بين الاستبدال والتركيب علاقة نظامية من منظور دي سوسير، إن حديثه عن هذين النوعين من العلاقة يراد منه تحديد ضافٍ للقيمة اللسانية، ذلك أن لها وظيفة مزدوجة بحسب محوري الاستبدال والتركيب، ولقد بين دي سوسير كيف أن قيمة كلمة تتحدد بما يجاورها، ومعنى ذلك أن مفهوم القيمة شديد الصلة بالمجاورة أي بالعلاقة و المجاورة بين الكلمات[2].

وإذا ما رجعنا إلى تراثنا اللغوي القديم، نلتمس تلك العلاقات الاستبدالية ولتركيبية عند "عبد القاهر الجرجاني" فقد أشار لذلك قبل "دي سوسير" في حديثه عن حروف المنظومة ونظم الكلم، و إبراز الفرق بينهما، إذ يميز الجرجاني في العلاقات التركيبية بين مستويين:

أ . مستوى نظم الحروف: ويقول الجرجاني: "ذلك أن نظم الحروف تواليها في النطق و ليس نظمها بمقتضى عن معنى و لا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه"[3]، يفهم من ذلك أن تلازم الحروف و تعديل مزاجها مرتبط بالعلاقات التركيبية التي يرد فيها، حتى لا تثقل على اللسان، و قد ضرب الجرجاني أمثلة لم يراع فيها نظم الحروف و تواليها، وذلك ما أنشده الجاحظ من قول الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكانِ قَفْرٍ وَ قُرْبَ حَرْبِ قَبْرُ.

و في قول ابن بشير:

[1]-فرديناند دي سوسير، المرجع السابق، ص:142.

[2]-حنون مبارك، المرجع السابق، ص:109.

[3]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:81.

لَمْ يَضِرْهاَ وَ الحَمْدُ لِلَه شَيْء وَانْثَنَتْ نَحْوَ عَزْفِ نَفْسٍ ذَلُولِ[1].

لو تمعنا في أبيات السابقة من ناحية التركيب أو التأليف ومن ناحية الدلالة، لوجدنا فيها ما هو فساد في النظم، ويرجع ذلك لعدم مراعاة الشاعر للمعاني النحوية، بحيث كانت حروفها تحمل نوعا من الصعوبة في النطق فلو قرأنها وجدنها تثقل على اللسان و يصعب قرأتها لتنافرها وعدم الانسجام والتلاؤم بينها، ومن ناحية المعنى فهي لا تؤدي أي دلالة و لا تكتسب قيمة بسبب الاضطراب الحاصل داخل التركيب، مما أدى إلى عدم انتظامها.

ب . مستوى نظم الكلم: ويميز بين نوعين، يقول الجرجاني، "أما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي أثار المعاني و ترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء للشيء كيف جاء و اتفق"[2]،وفي هذا يرى الجرجاني أن تأليف الكلمات يختلف عن تأليف الحروف، لأن نظم الكلم خاضع لقواعد النحو، بحيث ترتب الألفاظ حسب ترتيب معانيها، بضم بعضها إلى بعض، ولا يكون ضماَ عشوائياَ، بحيث لا يؤدي إلى دلالة داخل التركيب مثلما لاحظنا في الأبيات السابقة، ويقر الجرجاني بفائدة الفرق بين قوله: "حروف منظومة" و"نظم الحروف" في قوله: "أنك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم إن توالت ألفاظها في النطق، بل إن تناسقت دلالتها، و تلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل، وكيف يتصور أن يقصد به إلى توالي في النطق، بعد أن ثبت أنه نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وأنه نظير الصياغة والتحبير و التفويف والنقش و كل ما يقصد به التصوير، و بعد أن كنا لا نشك في أن لا حال للفظة مع صاحبتها تعتبر إذا أنت عزلت دلالتها جانباَ"[3]، و في هذا يؤكد أن الجملة وحدة متناسقة متماسكة العناصر لها نظمها و علاقاتها و هذا ما نص عليه الدرس اللساني، فالنظام النحوي عند دي سوسير يتكون من مجموعة من الوحدات تقوم بينها علاقات، يقول هِلْمسلف: " كان دي سوسير أول من دعا إلى... وصف علمي للغة في إطار العلاقات التي

[1]-القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:84.

[2]-المرجع نفسه، ص:81.

[3]-المرجع نفسه، ص، ص:81،82.

بين الوحدات بصرف النظر عن الخصائص التي تقدمها هذه الوحدات إلا ما يتصل بالعلاقات و ما يمكن أن يستنبط منها"[1].

نلاحظ أن كل من الجرجاني و دي سوسير كانت لهما نفس الفكرة في إبراز الدور الكبير الذي تؤديه العلاقات الاستبدالية و العلاقات التركيبية، برغم من اختلافهما في المصطلحات، إلا أن الجرجاني لا يرى النظم إلا بضم الألفاظ فيما بينها مما ينتج لنا علاقات بينها، وما النظام عند دي سوسير إلا ذلك المجموع من الوحدات التي تقوم على علاقات فيما بينها، وموقع ذلك هو "التركيب" أما المنطلق الأساس فهو "الاستبدال"، و قد ذهب الجرجاني إلى تقسيم الكلم إلى قسمين: الأول: **مؤتلف**: وهو الاسم و الفعل مع الاسم، و القسم الثاني: **غير مؤتلف**: و هو ما عدا ذلك، كالفعل مع الفعل، و الحرف مع الحرف[2].

ومن هنا نرى أن النظم أو التأليف ما هو إلا ذاك التناسق والتلاؤم و الاتفاق بين الكلمات أو ما يطلق عليها دي سوسير العلامات، التي تجري في التراكيب الكلامية في سلسلة واحدة، والتي تقوم على قانون الوئام، ومن أمثلة ذلك قول الجرجاني: "و إن أردت أن ترى ذلك عيانا فاعمد إلى أي كلام شئت وأزل أجزاءه عن مواضعها وضعها وضع لا يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها، فقل في: قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل، من نبك قفا حبيب ذكرى منزل ثم انظر هل يتعلق فكر بمعنى كلمة منها"[3]، و الجواب أكيد لا، لأن هذا التعبير خاطئ بسب عدم الترتيب المناسب لألفاظ مما أدى لفساد نظمها، وخروجها من كمال البيان إلى محال الهذيان، وهذا ما يؤكد أن الفائدة ليست في مجرد توالي الألفاظ بل الفائدة تكمن في تناسقها و تأليفها مما يؤدي إلى معنى[4]،ومن جهة أخر يضرب عبد القاهر الجرجاني

[1]-ينظر: محمد عبد العزيز الدايم، المرجع السابق، ص:208.

[2]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق،ص:290.

[3]- المرجع نفسه، ص:263.

[4]-ينظر: محمد الصغير بناني، المرجع السابق، ص:26.

أمثلة من "القسم الأول "المؤتلف" على الرغم من خضوعها للمبادئ النحوية إلا أنها لا تلتزم بصحة النظم"[1]،و ذلك نحو قول الفرزدق:

وَ مَا مِثْلُهُ فِي الناسِ إلاَّ مُمَلَّكاً أَبُوهُ أُمهِ أبُوهُ حيٌّ يُقَارِبُه.

و قول المتنبي:

وَ لِذَا اسْمُ أغْطِيَةِ العُيُونِ جُفُونُهَا مِنْ أنَهَا عَمَلُ السُّيُوفِ عَوَامِلُ.

و قول الأخر:

الطَّيْب أنْتَ إذَا اصَابَتْكَ طِيْبَة وَ المَاء أنْتَ اغْتَسَلتَ الغَاسِلَ[2].

رغم أن هذه الأبيات من الناحية التركيبية قد اتسمت ألفاظها بتوخي المعاني النحوية، إلا أن ألفاظها لم تكن مرتبة بحسب الترتيب المعنى الذي تؤديه، فالغرض المراد منها غير مفهوم، لأن لا وجود لصحة في نظمها، "فالفساد و الخلل في الذي أوقعه الشاعر في هذه الأبيات عائد إلى ما تعاطاه من وهذا الشأن على غير الصواب، فقدم و أخرّ، أو حذف و أضمر، أو فصل بين ركني الجملة فصلاً باعد بينهما، فخرج على النظم السليم أو ابتعد عن توخي معاني النحو و أحكامه"[3]، فالحكم على الكلام بالفصاحة وغيرها مشروط بمراعاة العلاقات التركيبية من خلال توخي معاني النحو إذ لا تجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، وإنما تجب لها موصولة بغيرها و معلقا معناها بمعنى ما يليها[4].

ونرى أن للتركيب جانبين هما: وحدات هذا التركيب و العلاقات التي تقوم بينها حتى يتشكل هذا التركيب، إذ لا بد لقيام التركيب من وحدات يتم تركيبها معاً، كما لا يتم التركيب حتى تُرصف هذه الوحدات معا من خلال علاقات تربط بينها، ويمكن أن نتحقق ذلك من

---

[1]-ينظر: عائشة برارات، دلائل الإعجاز من البنيوية إلى التداولية، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، قسم اللغة العربية و أدابها المركز الجامعي غرداية، 2011، ع11، ص:17.

[2]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:98.

[3]-أحمد مطلوب، المرجع السابق، ص:69.

[4]المرجع السابق، ص:291.

خلال تأمل تراكيب مثل: "كتاب محمد، وفي البيت صديق وفي" ومقارنتها بنحو :"محمد كتاب"، و" في يخرج"، و "طالبٌ وفية"، حيث تم تركيب الأمثلة الأولى بعلاقات نحوية مقررة في الإضافة والظرفية والنعت مما أكسب كل لفظة قيمتها بما جاورها من بقية العناصر وخضعت للأحكام النحوية أدى إلى حسن نظمها داخل العلاقات التركيبية، في حين غابت مثل هذه العلاقات لأمر أو لأخر عن الأمثلة الثانية، مما ينبغي أننا نملك في الأمثلة الأولى ما يمكن تسميته بالتركيب ولا نملك في الأمثلة الثانية سوء وحدتين أو علامتين غير مركبتين لا دلالة لهما في حالتهما الافرادية وهذا ما يسمى بالاستبدال[1].

بعد توضيح الجرجاني لأهمية العلاقات التركيبية، و الاهتمام بها بمختلف ما حملته من مستويات، لم يغب عن فكره الاشارة إلى العلاقات الاستبدالية، و ذلك من خلال حديثه "عن تعدد الصور أي تعدد الكلمات أوالعلامات التي تؤدي إلى معنى واحد فقد تكون بعض هذه الصور باهتة أو بديعة مستدلا[2]" في ذلك بأن "من شأن المعاني أن تختلف عليها الصور، وتحدث فيها خواص و مزايا من بعد أن لا تكون"[3]، و عليه لا يكفي أن نستبدل لفظة مكان لفظة أخرى، كما ورد في بيت الحطيئة في قوله:

دَعِ المَكَارِمِ لاَ تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أنْتَ الطَّاعِمُ الكَّاسِي

ذَرْ المَفَاخِرَ لاَ تَذْهَبْ لِمَطْلَبِهاَ وَ اجلِسْ فَإِنَّكَ أنْتَ الطّاعِمُ الأَبِسُ.[4]

نلاحظ من خلال الأبيات التي أوردها الحطيئة، أنه استعمل لفظتين لهما نفس الدلالة وهما :"اقعد واجلس" بحيث في البيت الأول استعمل كلمة "اقعد"، في حين البيت الثاني لم يكررها بنفس صورتها أي شكلها بل استبدلها بكلمة "اجلس"، فلو قلنا اقعد أو اجلس يؤديان إلى القيام بنفس الفعل في كلتا الحالتين، هذا على المستوى الاستبدالي الذي تنشأ منه معاني هذه الكلمات، أما إذا انتقلنا إلى مستوى التركيبي الذي وردت فيه، فنجد أنهما يختلفان بحيث تكتسب كل منهما الفضيلة والمزية بحسب التركيب المناسب الذي تقع فيه كل منهما.

1-ينظر: عبد العزيز الدايم، المرجع السابق، ص:207.

2-عائشة برارات، المرجع السابق ص:17.

3-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:345.

4- المرجع نفسه، ص:300.

فالجرجاني لم يكتفي بتحديد اللفظة في السياق الذي تريد فيه، بل تجاوز ذلك إلى تفاضل الذي يحصل بين الألفاظ في نفس التركيب، يقول الجرجاني: "و ما كان هذه سبيله، كان بمعزل من أن يكون به اعتداد، و أن يدخل في قبيل ما يفاضل فيه بين عبارتين، بل لا يصح أن يجعل ذلك عبارة ثانية، فكما لا تكون الفضة أو الذهب خاتما، أو سوارا أو غيرهما من أصناف الحلي بأنفسهما، و لكن بما يحدث فيهما من الصورة كذلك لا تكون الكلم المفردة"[1]، وهذا نفسه ما ذهب إليه فرديناند دي سوسير لكنه اكتفى بقول أن العلامة تكتسب قيمتها بما جاورها داخل التركيب و لم يفضل لفظة على أخرى.

إن ما يبرز اهتمام الجرجاني بالعلاقات الاستبدالية و العلاقات التركيبية اعتبارهما مقياسين يقوم عليهما النظم، ذلك أن مراعاة هذين الجانبين هو ما يمنح للنظم صحته، ثم ينبني عليهما ترتيبه بحسب المزية والفضل ثانيا، فالنظم من منظور الجرجاني هو مجموعة العلاقات التركيبية والاستبدالية، وليس مجرد رصف للألفاظ كيف مت جاء و اتفق[2]، وهذه نفس نظرة فرديناند دي سوسير حينما اعتبر العلاقات الاستبدالية و التركيبية المحورين الأساسين الذين يقوم عليهما نظام اللغة.

[1]-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص:301.

[2]-ينظر: عائشة برارات، المرجع السابق، ص:18.

خـاتـمـة

خاتمة:

بعد هذه الجولة البسيطة في رحاب الدراسات اللغوية القديمة و الدراسات اللغوية الحديثة، من خلال تطرقنا إلى مصطلح النظم عند عبد القاهر الجرجاني، و مصطلح النظام عند فرديناند دي سوسير، و الموازنة بينهما، يمكنني أن ألخص أهم النتائج التي توصل إليها البحث فيما يلي:

1- يحمل مصطلح النظم عند عبد القاهر الجرجاني نفس مفهوم النظام عند دي سوسير، إذا لاحظنا وجود علاقة بين النظام النحوي و المفهوم الكتابي، فإذا كان الأول يقصد به التعليق و التأليف للكلمات مع بعضها البعض، فإن الثاني هو مجموعة الكلمات التي تتحدد داخل العلاقات.

2- استطاع عبد القاهر الجرجاني أن يأتي بنظرية متكاملة إلا و هي نظرية النظم، التي تضاهي أحدث النظريات اللغوية في القرن العشرين، و هي نظرية البنيوية مع فرديناند دي سوسير، فقد احتلت نظرة الجرجاني مكانة هامة في علم اللغة الحديث، لما جاءت به من مفاهيم مساوية لما قامت عليه البنيوية مع دي سوسير، و إن اختلفوا في مصطلحات فرؤية كانت نفسها.

3- انطلق دي سوسير في التفريق بين اللغة و الكلام من القول بأن اللغة نظام اجتماعي وظيفتها التبليغ و التواصل، في حين رأى أن الكلام هو الجانب الفردي من اللغة، فكان اهتمامه الوحيد هو دراسة اللغة لوحدها و أهمل الكلام، و هذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني حينما أبرز العلاقة القائمة بين الكلمات في إطار ما سماه النظم، و رؤيته للغة لا تختلف عن دي سوسير.

4-انطلق عبد القاهر الجرجاني و دي سوسير من مبدأ واحد هو انتظامية اللغة، فذهب دي سوسير إلى تشبيه نظامها بنظام لعبة الشطرنج، فكان تشبيها دقيقا يصف من ورائه النظام الداخلي للغة، في حين ذهب عبد القاهر الجرجاني إلى تشبيه نظم اللغة، بالنسيج، و البناء، وأصناف الحلي.

5-إن العلامة اللسانية بوصفها مكون من مكونات النظام في نظر دي سوسير توجد بين الدال والمدلول، و قد أقر بأن العلاقة بينهما اعتباطية، و مبدأ الاعتباط أشار إليه عبد القاهر الجرجاني في تناوله للقضية اللفظ و المعنى، فالنظم لا يقوم إلا على ترابط بينهما، فقد دعا إلى استحالة فصل اللفظ و المعنى أو الدال و المدلول.

6-إن النظم عند عبد القاهر الجرجاني مرتبط بالمزية و التفاضل، بحيث يرى أن لا تفاضل للفظة على لفظة أخرى إلا إذا ارتبطت بالمعنى، فاللغة عنده عبارة عن بنية مفتوحة لأنها تعتمد على الألفاظ و المعاني، في حين لا يوجد ذلك عند دي سوسير، لأن اللغة عبارة عن بنية مغلقة تعتمد على العلاقات الداخلية و لا يهتم بالمعنى.

7-يقر عبد القاهر الجرجاني بالعلاقة القائمة بين اللغة و الفكر من حيث ترابط دلالات الكلمات مع الكلمات المجاورة لها داخل النظام، و هذا ما أشار إليه دي سوسير حينما رأى أن اللغة كيان موجود في أذهان الأفراد، و عليه فلا وجود للكلمات بدون أفكار و لا حياة للأفكار بدون كلمات.

8- اهتم عبد القاهر الجرجاني بالعلاقات الاستبدالية و التركيبية و ذلك من خلال حديثه عن نظم الحروف و نظم الكلم، واعتبرهما مقياس يقوم عليه النظم حتى تثبت صحته، و قد حظي بنفس الاهتمام من قبل دي سوسير الذي اعتبارهما المحورين الأساسين الذين يمثلان الجانب الاجرائي الذي يعمل وفقه النظام.

9- يرى عبد القاهر الجرجاني أن الألفاظ بمفردها لا فائدة منها في تأدية المعنى إلا بضمها إلى أخواتها، أي أن معنى اللفظة في الاستبدال لا يؤدي فائدة إلا إذا كان في التركيب، و هذا ما يقابله عند دي سوسير فالعلامات المتفرقة المنعزلة لا تعني شيئا في التركيب إلا إذا كانت مجموعة داخل وحدات متداخلة.

10- يرى دي سوسير أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ بل مجموعة من العلاقات التي تشكل لنا نظام اللغة، و هذا ما أقره عبد القاهر الجرجاني في أخر كتابه دلائل الإعجاز،

حينما رأى أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة، لم توضع إلا لضم بعضها إلى بعض مما يشكل لنا نظم يحمل فائدة.

11- إن مواطن الالتقاء بين نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، و نظرية دي سوسير ليست من قبيل المصادفة، فهذا إن دال إنما يدل على اطلاع الغرب على تراثنا العربي، والأخذ منه للنهوض بدراسة لسانية جديدة، و هذا ما لم يعترف به الغربيين، و لكن هناك بعض الباحثين من أثبت تأثر اللسانيات بالتراث اللغوي العربي.

و صفوة القول أن تراثنا اللساني العربي غني جداً و يستحق أن ينفض عنه الغبار و ينظر إليه، ففيه نظريات و أراء و مبادئ لا يمكن أن تستغني عنها اللسانيات المعاصرة و بخاصة نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني لما حملته من مصطلحات و أليات لسانية و التي سبقت دي سوسير في عدة جوانب.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

- القرآن الكريم

- المصادر:

1- أريفيه ميشال، البحث عن فرديناند دي سوسير، تح: محمد البقاعي، مر: نادر سراج، دار الكتاب المتحدة، بيروت، لبنان، دط، 2009.

2- الباقلاني محمد الطيب، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، دط.

3- الجاحظ، البيان و التبين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ-1998م، ج1.

4- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1424هـ-2004.

5- دي سوسير فرديناند، علم اللغة العام، تح: يوئيل يوسف عزيز، مر: مالك المطلبي، دار أفاق العربية، بغداد، دط، 1980.

6- الرماني علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، تح: خلق الله و محمد زعلول، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1988.

7- سيبويه، الكتاب، تح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ-1988م، ج1.

8- بن قنية أبو محمد عبد الله، تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة،ط2، 1339.

- المراجع:

1- إبراهيم زكريا، مشكلة البنية، مكتبة مصر، دط، 1990م.

2- أحمد عمايرة حليمة، الإتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل، عمان، ط1، 2006.

3- بحيري سعيد حسن، دراسات تطبيقية لغوية في العلاقة بين البنية و الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1426هـ-2005م.

4- بلعيد صالح، التراكيب النحوية و سياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1994.

5- بناني محمد الصغير، المدارس اللسانية في التراث العربي و في الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2001.

6- البهنساوي حسام، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظرية البحث الحديث، مكتبة الثقافة، القاهرة، دط، 1414هـ- 1994م.

7- بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية محاولة تأصلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2005.

8- بوقرة نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، عنابة، الجزائر، دط، 2003.

9- جليلي عبد العزيز، اللسانيات العامة و اللسانيات العربية تعاريف- الاصوات، دار البيضاء، ط1، 1991.

10- الجندي درويش، نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم، دار العلوم، القاهرة، مصر، دط، 1960.

11- حسان تمام، اللغة العربية معناها و مبناها، دار البيضاء، المغرب، دط، 1994.

12- حساني أحمد، مباحث في اللسانيات، كلية الدراسات الإسلامية و العربية، دبي، ط2، 1434هـ2013م.

13- خليل أحمد ، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1968.

14- دارج أحمد عبد العزيز ، الإتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، مكتبة الرشد، الرياض، دط، 1424هـ-2003.

15- الداية فايز، علم الدلالة، دار الفكر، دمشق، ط2، 1417هـ-1996م.

16- الدايم محمد عبد العزيز، النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام، القاهرة، ط1، 1427هـ-2006م.

17- دبة الطيب، مبادئ اللسانيات البنيوية دراسة تحليلية ابستمولوجية، دار القصبة، الجزائر، دط، 2001.

18- دك الباب جعفر، الموجز في شرح دلائل الإعجاز، دار الجيل، دمشق، دط، 1980.

19- الراجحي شرف الدين، مبادئ علم اللسانيات الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، دت.

20- بن سمعون سليمان، في قضايا اللسانيات و تحليل الخطاب، دار الضحى، الجلفة، الجزائر، ط1، 2019.

21- شنوقة السعيد، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، القاهرة، ط1، 2008م.

22- صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، دط، 1981.

23- الضامن حاتم، نظرية النظم، مكتبة مازن عبد القاهر المبارك، بغداد، دط، 1أيلول 1989.

24- عبد التواب صلاح الدين محمد، النقد الأدبي دراسات نقدية و أدبية، حول إعجاز القرآن، دار الكتاب، القاهرة، دط، 1423هـ-2003.

25- عبد العزيز محمد حسن، سوسير رائد علم اللغة الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، أوت 1989.

26- العطية خليل إبراهيم، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد، دط،1883.

27- غلفان مصطفى ، في اللسانيات العامة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

28- فضل صلاح، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1419هـ-1998.

29- قيزة عيسى، ملاحظات تركيبية على قواعد النحاة المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، دط، 2017.

30- الكراعين أحمد نعيم، علم الدلالة بين النظرية و التطبيق، المؤسسة الجامعية، لبنان، 1993.

31- اللبدي محمد سهير نجيب، معجم المصطلحات النحوية و الصرفية، دار الفرقان، بيروت، ط1، 1985.

32- مبارك حنون، مدخل إلى لسانيات دي سوسير. دار البيضاء، المغرب، دط، 1987.

33- مختار أحمد عمر، البحث عن العرب، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط6، 1988.

34- مخيمر فؤاد علي، فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الإعجاز، دار الثقافة، دط، 1983م.

35- مراد وليد محمد، نظرية النظم و قيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق، ط1، 1403هـ-1983م.

36- المسدي عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، دار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط2، 1986.

37- المسدي عبد السلام، اللسانيات و أسسها المعرفية، دار التونسية، ط1، أوت 1996.

38- مطلوب أحمد ، عبد القاهر الجرجاني بلاغته و نقده، وكالة المطبوعات ، بيروت، ط1، 1393هـ-1973.

39- مندور محمد، في الميزان الجديد، مؤسسات بن عبد الله، تونس، ط1، 1988.

40- مندور مصطفى، اللغة بين العقل و المغامرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، القاهرة، مصر، دط، لبنان، ط1، 1993.

41- مؤمن أحمد، اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005.

42- يونس محمد، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

- المجـالات:

1-برارات عائشة، دلائل الإعجاز من البنيوية إلى التداولية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، قسم اللغة العربية و آدابها المركز الجامعي، غرداية، 2011، ع11.

2-الشافعي خالد ربيع، قسم اللغة العربية، كلية المعلمين، جازان.

3-كتاب جماعي ضمن أعمال المؤتمر الدولي، دي سوسير بعد مائة عام من الغياب، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، المغرب، دار الكنوز، عمان، دط،2017.

الـفـهـــرس

العنـــوان	ص
إهداء	
ملخص	
مقدمة	أ
تمهيد	5
المبحث الأول: مصطلح النظم و النظام في الدرس اللغوي القديم و الحديث	10
المطلب الأول: إشارات إلى مصطلح النظم في الدراسات اللغوية قديما	11
أولا: مصطلح النظم قبل عبد القاهر الجرجاني	11
ثانيا: مصطلح النظم مع عبد القاهر الجرجاني	16
ثالثا: مقتضيات النظم	22
المطلب الثاني: مصطلح النظام في الدرس اللساني الحديث	27
أولا: مصطلح النظام قبل دي سوسير	27
ثانيا: مصطلح النظام مع دي سوسير	30
ثالثا: مقتضيات النظام	31
المبحث الثاني: الموازنة بين الجرجاني و دي سوسير	43
المطلب الأول: مقارنة لسانية بين الجرجاني دي سوسير في اللغة و الكلام	44
المطلب الثاني: اللفظ و المعنى في مقابل الدال و المدلول	57
المطلب الثالث: نظم الحروف و الكلم في مقابل العلاقات الإستدلالية و التركيبية	69
الخاتمة	76
قائمة المصادر و المراجع	
فهرس	